لغة عربية



جامعة الملك خالد
KING KHALID UNIVERSITY

نظرات نقدية فى



أدب الجاهلية وصدر الإسلام



دكتور

سليمان محمد سليمان

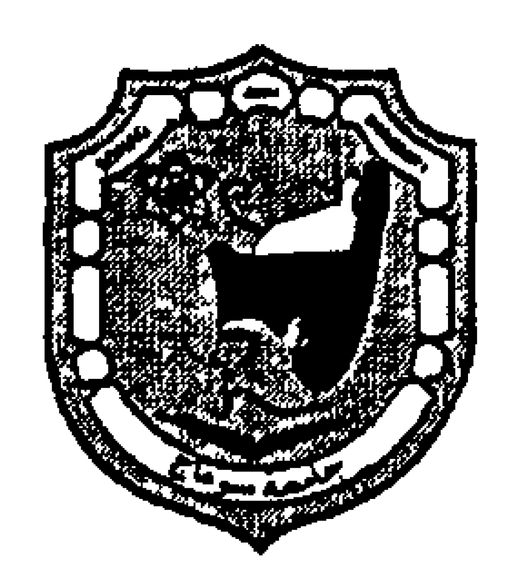
أستاذ الأدب والنقد بكلية الآداب - جامعة سوهاج

والأستاذ بجامعة الملك خالد بالمملكة العربية السعودية

كلية العلوم الإنسانية



تليفاكس : ٥٤٠٤٤٨٠ - الإسكندرية





نظرات نقدية فى

أدب الجاهلية وصدر الإسلام

دكتور

سليمان محمد سليمان

أستاذ الأدب والنقد بكلية الآداب – جامعة سوهاج

والأستاذ بجامعة الملك خالد بالمملكة العربية السعودية

كلية العلوم الإنسانية

الطبعة الأولى

2016م

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس 5404480 - الاسكندرية

المقدمـــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فهذه نظرات نقدية فى أدب الجاهلية وصدر الإسلام، وقد جاءت تلك النظرات النقدية فى فصلين:

الفصل الأول وعنوانه "النقد فى العصر الجاهلى"، وقد تناولت فيه أهمية الشعر عند العرب فى الجاهلية ومكانة الخطابة وأهميتها، ثم الحديث عن نشأة النقد وتطوره وأهم مراحله فى الجاهلية، ثم تحدث عن أهم مظاهر القبلية فى الشعر الجاهلى، ومفهوم المحاكاة عند العرب، وكيف اتفقت آراء نقادنا العرب مع آراء بعض النقاد الأوربيين، ومن ثم تطرقت لبعض النصوص الأدبية التى تصدرتها الكثير من الأحكام النقدية التى جاءت على ألسنة بعض الجاهليين.

أما الفصل الثانى، فقد جاء بعنوان "النقد فى صدر الإسلام"، حيث بدأته ببيان موقف الإسلام من الشعر مستشهداً بما جاء فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، ثم تحدثت عن الشعر فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، مشيراً إلى بعض نظراته النقدية الصائبة، مبيناً كيف كان الشعر وسيلة للاعتذار، وكذلك أشرت إلى بعض نظرات الخلفاء الراشدين النقدية، ثم تناولت الخصائص الفنية للشعر فى صدر الإسلام، وأثر القرآن الكريم فى اللغة وتطورها، ثم أثر القرآن الكريم فى النص الأدبى.

وختمت الحديث عن أثر القرآن الكريم فى شعر حسان بن ثابت رضى الله عنه من ناحية الصورة الشعرية – البناء اللغوى – البناء

الفكرى، ثم أشرت سريعاً إلى مكانة حسان بين معاصريه، ثم جاءت المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

والله نسأل أن تتم بها الفائدة ويعم النفع.

د/ سليمان محمد سليمان

أستاذ الأدب والنقد

الفصل الأول
النقد فى العصر الجاهلى

الفصل الأول

النقد فى العصر الجاهلى

أهمية الشعر عند العرب فى الجاهلية:

لقد عاش العرب فى الجاهلية وفقاً للنظام القبلي، فقد كانت القبيلة بمثابة الدولة التى تسوس نفسها وتقود أبناءها وترعى أمورها، ولها نظامها السياسى والاجتماعى والاقتصادي، ولها شيخها صاحب الأمر والنهى فى قبيلته.

وقد كانت القبيلة تفاخر غيرها من القبائل إذا ظهر فيها شاعر يتحدث باسمها ويعبر عن وجهة نظرها، فيرفع قومه على غيرهم من العرب، ويقف مفاخراً ومباهياً بمآثر قومه وأفضالهم، ولذلك كان العرب يهنئون بعضهم البعض بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج.

يقول ابن رشيق القيروانى فى كتابه العمدة: " وكانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة واجتمعت النساء، يلعبن بالمزامير كما يصنعون فى الأعراس، وتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج[1].

ولا ريب فى ذلك فقد كان الشعراء ألسنة قبائلهم ومن ذوى الرأى فيهم، يتغنون بمكارم قبائلهم وطيب أعراقهم، ويذكرون أيامهم ويخلدون مآثرهم.

يقول ابن قتيبة: " وللعرب الشعر الذى أقامه الله مقام الكتاب لغيرها وجعله لعلومها مستودعاً، ولآدابها حافظاً، ولأنسابها مقيداً،

---

(1) العمدة لابن رشيق ج65/1 تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، مطبعة دار الجيل، بيروت، لبنان، 1972م0

ولأخبارها ديواناً لا يرث على الدهر ولا يبيد على مر الزمان، وحرسه بالوزن والقوافى وحسن النظم وجودة التحبير من التدليس والتغيير".[1]

وجاء فى كتاب الحيوان للجاحظ قوله:" فكل أمة تعتمد فى استبقاء مآثرها وتحسين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال. وكانت العرب فى جاهليتها تحتال فى تخليدها بأن تعتمد فى ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى، وكان ذلك هو ديوانها "[2].

وجاء فى العقد الفريد لابن عبد ربه:"أن النعمان بن المنذر قدم على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين فذكروا ملوكهم وبلادهم فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم، ولم يستثن فارس ولا غيرها. ومما قاله: وأما حكمة ألسنتهم فإن الله – تعالى- أعطاهم فى أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم الأشياء وضربهم للأمثال وإبلاغهم فى الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس"[3].

وهكذا كانت بديهة العرب حاضرة وسليقتهم مواتية وشاعريتهم لا تنضب أبداً، فقد كان الشعر من مفاخرهم ومآثرهم التى يفخرون بها على غيرهم. ولذلك كانت كل قبيلة من قبائل العرب لا تخلو من شاعر أو أكثر، يقول ابن سلام:" ذكرنا العرب وأشعارها، والمشهورين المعروفين من شعرائها.. إذا كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب.. فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم".[4]

ولمكانة الشعر وأهميته، فقد كان شريفاً عند العرب أكثر من

---

1) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص 14.

2) الحيوان للجاحظ، ج71/1، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر0

3) العقد الفريد لابن عبد ربه ج101/1.

(4) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ج1/ 3.

غيره من الكلام، يقول عنه ابن خلدون:" وعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفاً عند العرب، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم وأصلاً يرجعون إليه فى الكثير من علومهم وحكمهم"[1].

ويقول عنه أيضاً:" وعلم أن الشعر كان ديواناً للعرب، فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم. وكان رؤساء العرب منافسين فيه، وكانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده. ويعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر لتمييز حوله"[2].

وقيل إن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ سأل كعب الأحبار:" يا كعب هل تجد للشعراء ذكراً فى التوراة؟ فقال كعب: أجد فى التوراة قوماً من ولد إسماعيل أناجيلهم فى صدورهم ينطقون بالحكمة ويضربون الأمثال لا نعلمهم إلا العرب"[3].

وهكذا نجد أن كعب الأحبار بهذا القول قد جعل أشعار العرب فى أهميتها وقيمتها فى منزلة أناجيل بنى إسرائيل.

ومما يدلنا أيضاً على اهتمام العرب وعنايتها بشعر شعرائها، أنهم كانوا - كباراً وصغاراً- يحفظون هذه الأشعار ويروونها لمن بعدهم حتى قيل: إن بنى تغلب تلك القبيلة العربية المشهورة كانوا يحفظون معلقة شاعرهم عمرو بن كلثوم ويروونها لكل أبناء القبيلة، وظلوا كذلك حتى هجاهم بعض شعراء بكر بن وائل. حيث يقول:

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة .. قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يروونها أبدا مذ كان أولهم .. يا للرجال لشعر غير مسئوم[4]

---

(1) مقدمة ابن خلدون ص 504، كتاب التحرير 1386هـ - 1966م.

(2) المصدر السابق، ص 513.

(2) العمدة لابن رشيق، جـ25/1.

(4) الأغانى للأصفهانى ج54/11. الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1992م0

ومما يدلنا كذلك على أهمية الشعر وقيمته عند العرب، قصة زهير مع خاله بشامة بن الغدير التى ذكرها صاحب الأغانى وملخصها أن بشامة بن الغدير خال زهير بن أبى سُلمى، عندما حضرته الوفاة قسم ماله بين أهله لأنه لم يكن له ولد من صلبه ولم يجعل لزهير ابن أخته شيئاً من ماله. فغضب زهير وكان ملازماً له راوياً لشعره، فلما أتاه زهير قال: يا خالاه لو قسمت لى من مالك، فقال: والله يا ابن أختى لقد قسمت لك أفضل من ذلك وأجزله. فقال: ما هو؟ قال شعرى ورثتنيه[1].

وهكذا يتضح لنا مما سبق أهمية الشعر وقيمته عند العرب فى الجاهلية، وأنه كان أغلى عند هؤلاء القوم من المال.

◆◆◆

مكانة الخطابة وأهميتها عند العرب

يقول الدكتور الحوفى في تعريف الخطابة: "هى فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته، فلا بد من مشافهة وإلا كانت كتابة أو شعراً مدوناً، ولابد من جمهور يستمع وإلا كان الكلام حديثاً، أو وصية ولابد من الإقناع وذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين ويؤيده بالبراهين ليعتقدوه كما اعتقده[1].

ومما لا شك فيه أن عرب الجاهلية كانت لهم خطبهم القوية التى اعتمدوا عليها فى مواقفهم العامة، واستعملوها فى مجتمعاتهم ودعواتهم للسلم والحرب، وقد كانت الخطابة من لوازم السيادة والرياسة، ولذلك كانت تقترن بالحكمة والشرف، ومما يدلنا على ذلك قول الجاحظ: ومن القدماء ممن يذكر بالقدر والرياسة والبيان

---

1) المصدر السابق، ج312/10.
(2) فن الخطابة للدكتور أحمد محمد الحوفى، ص 5، دار نهضة مصر للطبع والنشر بالفجالة، القاهرة، الطبعة الخامسة.

والخطابة والحكمة: لقمان بن عاد، ولقيم ابن لقمان، ومجاشع بن دارم، وسليط بن كعب بن يربوع سموه بذلك لسلاطة لسانه، ولؤي بن غالب، وقس بن ساعدة، وقصى بن كلاب (1).

وقس بن ساعدة هذا وهو الذى قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: "كأنى أنظر إليه بسوق عكاظ يخطب الناس على جمل أحمر، وهو يقول: أيها الناس، اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات." (2)

ويقول أبو عمرو بن العلاء: "كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذى يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم ومن غزاهم.. فلما كثر الشعر والشعراء، واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوقة، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر" (3).

ويقول أيضاً: "وكان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب، وهم إليه أحوج، لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم، فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر" (4).

ويقول الدكتور شوقى ضيف: "وتردد فى كتاب البيان والتبيين وغيره من كتب الأدب أسماء طائفة كبيرة من خطباء الجاهلية الذين اشتهروا بالفصاحة ووضوح الدلالة والبيان عما فى أنفسهم، مما جعل الأسماع والقلوب تهش إليهم، ويعظم فى الناس خطرهم، ويشيع فى

---

(1) البيان و التبيين للجاحظ، ج36/1، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1405هـ/1985م.
(2) المعمرون والوصايا لأبى حاتم السجستاني ص 88 تحقيق عبد المنعم عامر، 1961م، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه.
(3) البيان و التبيين للجاحظ، ج241/1.
(4) المرجع السابق، ج83/4.

الآفاق ذكرهم" [1].

وممَا لاشك فيه أن طبيعة الحياة الجاهلية كانت تدعو إلى نشأة الخطابة؛ بل إن ما ذكرته كتب التاريخ والأدب من أسماء خطبائهم وأقوالهم وأخبارهم ومواقفهم كافٍ لتصوير شيء من هذا الرقى والازدهار الذى وصلت إليه الخطابة الجاهلية.

وإذا كانت هذه الخطابة بفنونها وألوانها فإن الحياة التى عاشها الجاهليون بما فيها من عصبية وصراع قبلى ونزاع دائم وغير ذلك من الصور الصاخبة التى نعرفها عن هؤلاء القوم، وهذه الحياة كانت كفيلة أن تبعث على نشأة الخطابة الاجتماعية وشيء قريب من الخطابة السياسية.[2]

وهكذا يتضح لنا أن العربى منذ نشأته فى الجزيرة العربية عُرف بتقديسه لحلاوة اللسان وفصاحة البيان وروعة اللفظ وحُسن التعبير، فقد كانت الكلمة الفصيحة والبيان الرائع من أهم ما اتصف به العربى.

ولقد كانت الكلمة من المميزات الحضارية الرئيسة للعرب منذ القدم البعيد وعلى عهودهم المختلفة، الكلمة البليغة المؤثرة بأى نوع من أنواع موحياتها، بتراكيبها المختلفة، وأهداف معالجة موضوعاتها المختلفة أيضاً، وكذلك الكلمة الفصيحة العربية المبينة والمعربة عن مفهوم صاحبها مع التكيف بمقادير التلقى للمخاطب وهنا- بالذات-

---

(1) الفن ومذاهبه فى النثر العربى للدكتور شوقى ضيف ص 30، الطبعة السادسة، دار المعارف بمصر، 2005م.

(2) راجع فى ذلك تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور/ جواد على، ج211/4: 215، بغداد 1374هـ - 1954م، وتاريخ الشعر السياسى لأحمد الشايب ص24: 53، الطبعة الرابعة، 1966م، مكتبة النهضة المصرية.

الكلمة فى إطارها كخطبة.[1]

ويقول الدكتور إبراهيم أبو الخشب: "وقد كانت الخطابة إحدى هذه المميزات التى خصهم الله بها.. وهى وإن كانت نوعاً من أنواع النثر الأدبى إلا أنها تقوم على التروى وتعتمد على اختيار الألفاظ والجمل وإثارة الوجدان والعواطف واستمالة القلوب والأفئدة"[2].

ويخيل إلى من يقرأ فى أخبار القوم أنهم أصبحوا جميعاً خطباء، فهم يخطبون فى نظرياتهم السياسية وفى معتقداتهم الدينية، وفى السلم وحين يحاربون.. ومهما يكن فقد ارتقت الخطابة رقياً بعيداً فى العصر الأموى، ونشطت نشاطاً لعل العرب لم يعرفوه فى عصر من عصورهم الوسيطة، إذ اتخذوها أداتهم للظفر فى أرائهم السياسية والانتصار فى مجالاتهم المذهبية.. ومن ثم أينعت فيها فروع ثلاثة هى الخطابة السياسية وخطابة المحافل والخطابة الدينية[3].

ويقول الدكتور عبد الجليل شلبى عن الخطابة فى العصر الأموى: "ولم يكن حظ الخطبة من الرواج والنقاء فى أى عصر من عصور الأدب العربى كله مثل ما كان فى هذا العصر، خصوصاً فى أول قيام الدولة وأثناء بذل جهودها العديدة فى تثبيت أقدامها ودحض خصومها.. سبب هذا الرواج أن دواعى كثيرة للخطابة كانت متوفرة، الحرية مكفولة، واللغة حية سليمة، والطبيعة موفورة للمتكلمين وظروف السياسة العامة تدعوا إلى كثرة الخطب وتثير الحماس فى نفوس الخطباء، والأحزاب المتنافسة تعتمد على الخطبة قبل كل

---

(1) راجع فى ذلك الخطبة كنثر فنى للدكتور عثمان بوغاغى ص 138، نشر مؤسسات عبدالكريم عبد الله، تونس، 1978م.

(2) الأدب الأموى للدكتور إبراهيم على أبو الخشب، ص 123، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(3) الفن ومذاهبه فى النثر العربى للدكتور شوقى ضيف، ص 67.

شيء"[1].

ويقول الدكتور الحوفى: "وكان العرب فى ذلك العصر على قدر عظيم من المقدرة البيانية والبديهية المسعفة والفصاحة المتوارثة.. ذلك أن سليقتهم لم تكن قد فسدت، وحرصهم على لغتهم وأدبهم كان شديداً. وكان الخلفاء والأمراء ينشئون أبنائهم فى البادية لتكفل لهم التربية فيها منافع منها فصاحة القول[2].

ثم نجده يقول فى موضع آخر "ويظهر أن نزعة العربي إلى الفخر بسيفه ولسانه منذ الجاهلية ما زالت عظيمة السلطان فى العصر الأموى، يدل على ذلك أن يزيد بن معاوية امتنّ على زياد بقوله: لقد نقلناك من ولاء ثقيف إلى عز قريش، ومن عُبيد إلى أبى سفيان، ومن القلم إلى المنابر"[3].

ويقول الدكتور شوقى ضيف: "رأينا الخطابة تزدهر ازدهاراً رائعاً فى العصر الأموى، وقد صاحب هذا الازدهار عناية واسعة بالخطباء على اختلاف أغراضهم وإحكام خطابتهم عن طريق البيان التام والحجة البالغة والألفاظ الموفقة، ولا غرابة فى ذلك فإنهم كانوا يريدون بخطبهم فى أكثر أحوالها إقناع الناس وإسكات الخصوم واستمالة القلوب حتى يصنع فيها صنيع الغيث فى التربية الكريمة"[4].

ويقول فى موضع آخر: "ازدهرت الخطابة فى هذا العصر وقد عملت فى هذا الازدهار وهيأت له أسباب مختلفة منها السياسى ومنها

---

(1) الخطابة وإعداد الخطيب للدكتور عبد الجليل شلبى، ص 263، الطبعة الخامسة 1412هـ-1991م، مؤسسة الخليج العربى.

(2) فن الخطابة للدكتور الحوفي، ص .212

(3) فن الخطابة للدكتور الحوفى، ص 209: 212.

(4) الفن ومذاهبه فى النثر العربى للدكتور شوقى ضيف، ص 80.

الدينى ومنها العقلى"[1].

فقد جارت الخطابة الشعر فى العصر الأموى وعلا شأنها إذ تناولت شئون الدولة العامة، ومثلت السياسة أصدق تمثيل، وكانت السلاح القولي الذى يعتمد عليه الساسة فى الدعاية لأنفسهم، واستمالة القلوب إليهم وتهديد الخارجين عليهم والحملة على خصومهم ومناوئيهم وارتفع شأن الخطابة والخطباء وزاحموا بمقدرتهم الخطابية أبناء الأشراف والسادة، فلم تعد المناصب الكبيرة محبوسة على هؤلاء"[2].

لقد ازدهرت الخطابة السياسية فى العصر الأموى وافتنّ الخطباء فيها، فتميزت بخصائص شتى، لم تجتمع كلها للخطابة فى الجاهلية، ولا فى صدر الإسلام، ولم تجتمع لها فى العصر العباسى[3].

وتتم خطب كثيرة عن العناية بإعدادها والتأنى فى صوغها والتدبر فى ترتيب أجزائها وتنسيق أفكارها والتأنق فى أسلوبها. وإن أثار الإعداد لواضحة فى كثير من خطب العصر كخطب الحجاج وزياد وعبد الملك وأبى حمزة الخارجى؛ لأن هذه الخطب موحدة الموضوع[4].

ويقول الدكتور شوقى ضيف: "ومن يرجع إلى خطبة زياد يلاحظ أنه عُنى بتأليفها عناية شديدة، ويقول أيضاً: ولكن زياداً يتفوق على الحجاج فى بناء خطبه وإحكام تأليفها..." [5].

وهكذا يتضح لنا مدى المكانة العظيمة والأهمية البالغة التى وصلت إليها الخطابة عند العرب منذ الجاهلية وحتى عصر بنى أمية، فقد

---

(1) المصدر السابق، ص 63.
(2) فن الخطابة للدكتور الحوفى، ص 213.
(3) لمزيد من التفصيل راجع أدب السياسة فى العصر الأموى للدكتور الحوفى "الفصل الخامس".
(4) تهذيب الكامل للمبرد، للأستاذ السباعى بيومى، ج170/1.
(5) الفن ومذاهبه فى النثر العربى للدكتور شوقى ضيف، ص 81، ص 84.

وصلت إلى قمة ازدهارها ورقيها فى عهدهم نظراً للظروف التى مر بها خلفاء بنى أمية ، وما كانت عليه الأمة فى عهدهم من تمسك بعروبتها ، وما نشب فيها من خلافات وصراعات كبيرة كانت من أهم أسباب هذا الازدهار والرقى.

نشأة النقد وتطوره

النقد الأدبى جنس من الأجناس الأدبية ، وهو فى نفس الوقت لاحق بالأدب تابع له ، فلا يتصور وجود نقد أدبى بلا أدب.

فالأدب هو المادة التى يأتى النقد لتقييمها وبيان صحيحها من زيفها ، وجيدها من رديتها.

مفهوم كلمة "نقد" فى اللغة :

لقد عرفت كلمة " نقد " فى اللغة العربية بمدلولات عدة نذكر منها : نقد الدراهم. ونقد له الدراهم أى أعطاه إياها ، فانتقدها أى قبضها ، ونقد الدراهم وانتقدها ، أى أخرج منها الزيف.

ودرهم نقد : أى وازن جيد. وناقده أى ناقشه فى الأمر ، ونقدت الدراهم نقداً من باب نصر ، والفاعل ناقد والجمع نقاد.

وانتقدتها : إذا نظرتها لتعرف جيدها وزيفها ، وقالوا : النقد : إعطاء النقد أى الذهب أو الفضة ، ونقدت الرجل دراهمه ونقدتها له. أى أعطيته إياها ، وأعطيتها له ، فانتقدها هو أى قبضها.

ومنها العيب ، فقد جاء فى حديث أبى الدرداء : "إن نقدت الناس نقدوك ، وإن تركتهم تركوك" ، أى أن عبتهم عابوك ، وإن تركتهم وشأنهم تركوك.

وقيل النقد : صغار الغنم واحدتها نقدة وجمعها نقاد والنقاد : راعيها ، قال الأصمعي : أجود الصوف صوف النقد.

ومنها ناقدت فلاناً إذا ناقشته في الأمر. فهي تستعمل بمعني

المناقشة للتثبت من صحة الآراء.

ومنها النقد بمعني الضرب، نقد الشيء نقداً إذا نقره بأصبعه، وقد تأتي بمعني النقر "نقر" ينقر الطائر الفخ بمنقاره أي ينقره. وتأتي بمعني اللقط. لقط الطائر الحب يلقطه إذا كان يلقطه واحداً واحدا وهو مثل النقر.

وقالوا النقد اختلاس النظر نحو الشيء والرجل ينقد الشيء بعينه وينقده بنظره وينقد إليه. إذا أدام النظر إليه باختلاس حتى لا يفطن أحد له.

ويعني هذا كله اختبار الشيء والإحاطة به حتى يمكن تقديره. وربما كان اختلاس النظر أدعي لتكوين الرأي عن ذلك الشيء بعيداً عن المؤثرات الخارجية من جانب من ينظره، إذ لا تدع له فرصة للتمويه عليك أو تحديك، وربما كانت إدامة النظر أدعي لاطمئنان الناقد إلي رأيه الذي يكونه، فلا يكون رأياً خطيراً أو وليد ساعته.

وقالوا النقد لدغ الحية. هذه الحية نقدته: أي لدغته [1].

وواضح من هذه المعاني ما يمكن أن يندرج تحت موضوع النقد كما نفهمه في العصر الحديث. فالمعني قد يعطي مفهوم الدرس والشرح والتحليل أو مفهوم التعريف والتقويم. أو المفاضلة والموازنة أو اختلاف وجهات النظر، أو مفهوم تنقية الإنتاج الأدبي من كل ما هو سقيم غث.

فهو – كما نري – يدور حول الحُسن والقُبح أو القوة والضعف والتمييز بين الأشياء.

وقد أحسن العلماء إذ وضعوه عنواناً لهذا العلم الذي يتصدى للأثر الفني ويميز جيده من رديئه.

والنقد في اصطلاح الفنيين: هو تقدير القطعة الفنية ومعرفة قيمتها ودرجتها في الفن سواء كانت القطعة أدباً أو تصويراً أو حفراً أو

(1) راجع لسان العرب لابن منظور، وأساس البلاغة للزمخشري. مادة " نقد ".

موسيقي[1].

وهذا التقدير ينشأ عند الناقد من ملكة وفطرة تسمي الذوق ومن معرفة للقواعد الفنية التي تمكنه من الحكم علي الأثر الفني بالجودة أو الرداءة". فالنقد متصل اتصالاً كبيراً بجملة علوم وفنون"[2]، فقواعده مأخوذة ببعضها من علم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة ومن علوم أخري كثيرة.

والنقد الأدبي مكون من كلمتين: أدبي منسوب للأدب وخير تعريف للأدب أنه التعبير عن الحياة أو بعضها بعبارة جميلة. والنقد تقدير الصفات الأساسية التي يجب توافرها لتكون القطعة أثراً فنياً أدبياً.

وقد اتفق الباحثون علي أن "النقد" في "اللغة" تمييز الدراهم وغيرها كالتنقاد والانتقاد والنقد.

من ذلك قول سيبويه:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة ∴ نفي الدنانير تنقاد الصياريف

فالتنقاد في البيت: تمييز الجيد من الردىء من الدراهم والدنانير.

وقد تنبه ابن سلام لكلمة "نقد" بهذا المعني. حيث يقول: والشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات. منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان.

من ذلك اللؤلؤ والياقوت. لا تعرف بصفة ولا وزن دون – المعاينة ممن يبصره، ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم. لا تعرف جودتهما بلون ولا مس ولا طراز ولا "رسم" ولا صفة، ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجها وزائفها ويستوفها ومفرغها[3].

---

(1) النقد الأدبي للأستاذ أحمد أمين ص 4.
(2) المرجع السابق، ص 2.
(3) طبقات الشعراء – لابن سلام، ص 5.

فالشعر عند ابن سلام صناعة منها الجيد ومنها الرديء، والعليم بأمر الشعر هو الذي يستطيع تمييز الجيد من الرديء. وهذا المعني الذي قصد إليه ابن سلام يناسب قول سيبويه في البيت السابق. وهو معرفة الجيد من الرديء من الدراهم. ففي القولين معني الفحص والحكم والمعاينة والموازنة ومهما كثرت وتعددت مفاهيم النقد الأدبي فهي لا تخرج عن تناول النص الأدبي بالبحث والتحليل لبيان جيده من رديئة، فالنقد دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها [1].

ولم يعد النقد مقصوراً علي موازنة النص بغيره والحكم عليه حكماً كلياً، ولكنه أصبح يتناول النص وما يحيط به فعلي الناقد أن يدرس أعمال صاحب النص المفقود حتي يستطيع أن يتبين طريقته في التأليف ومستوي أسلوبه في التفكير ويتعرف علي " العوامل المختلفة التي تعمل فيها، والدوافع التي تدفع بها وتوجهها هذه الوجهة أو غيرها وتصبغها بهذه الصبغة أو بتلك" [2].

ولا شك أن الحكم علي شاعر مثلاً يختلف من ناقد لناقد، لأن النقد مهما أصبح علماً له أصوله وقواعده سيظل فناً من الفنون الأدبية، لا يخلو من إحساس وذوق.

كل ناقد إذن يعتمد علي ذوقه في تناوله للنص، والذوق كما يعرفه الدكتور/ محمد زكي العشماوي هو "تلك الموهبة الإنسانية التي أنضجتها رواسب الأجيال السابقة وتيارات الثقافات المعاصرة والتي امتزجت جميعها فكونت هذا الشيء المسمي بحاسة التمييز والتذوق الأدبي، الذي ليس مجردا من تأثيرية خرقاء. كما أنه ليس إحساساً

(1) أصول النقد الأدبي – تأليف أحمد الشايب، الطبعة الحادية عشر سنة 2011 – الناشر مكتبة النهضة المصرية، ص 115.
(2) في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية – د / طه الحاجري، ص 5.

أرعن ولا هو لذة فحسب[1].

وقد شاع استعمال النقد مضافاً إلي الشعر وإلي النثر أو إلي الكلام بصفة عامة عند العرب منذ القرن الثالث الهجري، فقد روي عن بعضهم أنه قال: رآني البحتري ومعي دفتر شعر فقال: ما هذا؟ فقلت: شعر الشنفرى. فقال: إلي أين تمضي؟ فقلت: إلي أبي العباس المبرد أقرؤه عليه. فقال: قد رأيت أبا عباسكم هذا منذ أيام عند ابن ثوابة فما رأيته ناقداً للشعر ولا مميزاً للألفاظ ورأيته يستجيد شيئاً وينشده. وما هو بأفضل الشعر. فقلت له: أما نقده وتمييزه فهذه صناعة أخرى ولكنه أعرف الناس بإعرابه وغريبه[2].

وقال بعض الشعراء:

رب شعر نقده مثل ما ∴ ينقد رأس الصيارف الدينار

وبذلك نجد أن الشعر يحتاج في نقده إلي صاحب بصر، وممارسة، فالنقد صناعة لا يتقنها أبو العباس ثعلب وإن كان عالماً في غير هذا الفن.

فالناقد لا يمكن أن يكون أديباً إلا إذا منح موهبة الإبداع فكذلك لا يمكن أن يكون ناقداً من لم يمنح موهبة التذوق، وقد عابوا من تصدوا للنقد دون دراية وحسن تذوق.

ونجد نقاد العرب في القرن الثالث الهجري وحتى القرن الخامس يفرقون بين الموهبة الشعرية والاستعداد النقدي.

فالناقد بالغاً ما بلغ في العلم باللغة والشعر والرواية والغريب وأصول الأدب جميعاً لا يستطيع أن يرقي إلي إبداع نماذج أدبية كما يبدع الأديب. حتى إذا أعانه الله بأصح طبع وأثقب ذهن وأنفذ قريحة[3].

---

(1) قضايا النقد الأدبي والبلاغة، الدكتور محمد زكي العشماوي، ص 425.
(2) دلائل الإعجاز، ص 195.
(3) الوساطة، ص 16.

والنقد الأدبي بالمفهوم العصري هو دراسة الإنتاج الأدبي والنظر فيه بغرض إبراز محاسنه والوقوف علي ما فيه من مآخذ لمساعدة المتلقي علي استخلاص عناصر الجمال فيه ومساعدة الأديب علي تلاقي نقط الضعف والقصور، ومساعدة مؤرخ الأدب علي تاريخ الحركة الأدبية تاريخاً صحيحاً.

ويمكن القول إن هناك نقداً موضوعياً وآخر وصفياً، أما النقد الموضوعي فهو الذي يتناول الأعمال الأدبية بالدرس والشرح والتفسير والتحليل والتقويم والحكم ومقارنتها ببعضها.

أما النقد الوصفي فنعني به مجرد التلخيص للأعمال الأدبية بحيث تبرز أهميتها وقيمتها أمام القارئ وذلك عملاً علي نشر الثقافة والارتفاع بمستوي التذوق الفني، من هنا نحب أن ننبه علي خطورة عمل الناقد إذا أنه مهم في تربية الأذواق الفنية ويستطيع أن يؤثر علي الجمهور القارئ، ومن ثم يجب أن يكون هذا النقد ذا ذوق سليم متسلحاً إلي جانب هذا الذوق السليم بثقافة خاصة وثقافة عامة.

ونعني بالثقافة الخاصة تلك التي يحتاج إليها الناقد في تخصصه الدقيق، ففرق كبير بين ناقد الشعر الغنائي وناقد الشعر المسرحي أو الملحمي القصصي أو ناقد القصة والرواية.

أي أن الناقد المتخصص بجنس أدبي معين يجب أن يكون علي علم تام بأصول هذا الجنس وتطوره، وأسسه الفنية بحيث يتمكن في سهولة من إدراك نواحي الكمال أو القصور في العمل الأدبي، ومن ثم يوجهه توجيهاً سليماً.

أما الثقافة العامة فهي ضرورية لكل ناقد خبير لكي يكون حكمه أقرب إلي الصحة والشمول، ونعني بهذه الثقافة الإلمام بالسياسة والاجتماع والاقتصاد والجغرافيا وساير العلوم إلماماً يمكنه من إصدار

حكم صحيح لا يجافي الحقائق ولا يتناقض معها.

النقد في العصر الجاهلي

لقد كان النقد في أول مراحله بسيطاً ساذجاً لا يخرج عن مجرد إلقاء الأحكام العامة المجردة يطلقها السامعون نتيجة تأثرهم بما يسمعون من الشعر والخطب.

وقد كانت هذه الأحكام مع بساطتها وسذاجتها تدل علي ذوق فني رفيع وقرائح متوقدة عليمة بالشعر وبواطنه.

وتتمثل أولي مراحل النقد في ذلك العصر في نقد الشاعر نفسه، فقد كان الشاعر الجاهلي يحتفل بنظم شعره ويتأني فيه ويعيد فيه ويبدل أو يضيف ويحذف لكي يرضى هو عن شعره أولاً ثم يرضي جمهور المستمعين ثانياً.

وخير مثال لتلك المرحلة الشاعر الكبير زهير بن أبي سلمي الذي سمي قصائده الحوليات لأنها لم تنظم مرة واحدة، ولم يذعها صاحبها فور إعدادها، وقال الحطيئة: "وخير الشعر الحولي المنقح"[1].

ومعني ذلك إنه لم يكن ينظم فحسب، بل كان ينظر ويفكر وينقد ويتفحص قصيدته بيتاً بيتاً، ويقف عنده طويلاً، حتى يرضى عنه، ويسير في قصيدته هكذا متأنياً متخيراً لألفاظها ومعانيها. ثم يتركها بعض من الوقت ليعود إليها ويديم النظر فيها، وكان يفعل ذلك عاماً كاملاً حتى تنضج وتستوي قصيدته أو حوليته، فيخرجها للجمهور. ولذلك سميت قصائده بالحوليات.

وكان الأصمعي يقول: زهير والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين، قال وكان زهير يسمي

---

(1) البيان والتبيين للجاحظ ج 1، ص204.

كبر قصائده "الحوليات"[1]. روي أن زهير كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة.

وكان زهير أستاذ الحطيئة. وسئل عنه الحطيئة فقال: ما رأيت مثله في تكفيه علي أكناف القوافي وأخذه بأعنتها حيث شاء"[2].

وهذا الذي صنعه زهير إنما هو روح نقدية عامة سرت في قول جل الشعراء ؛ لأن كل شاعر كان يهدف إلي تقدير الجمهور له ولشعره.

ثم تأتي المرحلة التالية وتتمثل في عمل الرواة. وللراوية في العصر الجاهلي دور كبير، وللرواة منزلة عالية فهم الوسيلة الوحيدة التي ينتقل الشعر من خلالها فقد كانوا بمثابة الإذاعة المسموعة والمرئية في النشر والوصول إلي المستمع والمشاهد حيث يوجد في أي مكان يكون.

وكان الرواة كالموسوعات في تسجيل الشعر وحفظه وكانوا يدافعون عن شعرائهم وينقلون عصرهم وأخبارهم في إخلاص وحماسة ولذلك أباحوا لأنفسهم نقد هذا الشعر ثم تعديله بما يتمشي مع هذا النقد في حدود ضيقة تجعل الشاعر يتقبل هذا النقد وذلك التعديل. لعلمه أن راوية شعره مخلص له ولشعره.

وقد كان لكل شاعر راويه يلازمه ويحفظ عنه كل ما يقول، ثم ينطق لسانه ويقول الشعر بعد أن تكون موهبته قد صقلت وتهذبت ويصبح له بعد ذلك راويه أو أكثر.

وتنص كتب الأدب علي أن زهيراً كان راوية لأويس بن حجر. أما هو فروي عنه الشعر ابنه كعب والحطيئة"[3].

والشعراء الرواة هم الفحول، سئل روية بن العجاج عن الفحل من الشعراء فقال: هو الراوية، يريد أنه إذا روي استفحل.

(1) الشعر والشعراء لابن قتيبة، جـ1، ص 149، 150.
(2) المصدر السابق، نفسه.
(3) الأغاني للأصفهاني جـ8، ص 91 .

وقال يونس بن حبيب: إنما ذلك لأنه يجمع إلي جيد شعره معرفة جيد غيره فلا يحمل نفسه إلا علي بصيرة.

وقال الأصمعي: لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتي يروي أشعار العرب ويسمع الأخبار ويعرف المعاني وتدور في مسامعه الألفاظ[1].

فنحن أمام رواة نقده لهم رأي فيما يسمعون ويحفظون ولا يصير أمر الرواية إلي هذا القدر العظيم وإلي هذا المصير الفذ بأن يكون فحل الشعراء، إلا إذا كان عليماً خبيراً بضروب الشعر وفنونه، فالراوية إذن دارس متقصي يميز بين جيد الشعر ورديئه، ولا يختار إلا الجيد ليكون له نبراساً وهاديا.

فدور الرواة إذن دور ناقد. لأن الراوية ينشد شعر من يروي له وعمله يقتضي أن يكرر الإنشاد وهنا قد تتكشف له بعض العيوب الصغيرة فلا يجد حرجاً في معالجتها وإصلاحها. ثم ينشد القصيدة منقحة حرصاً منه على شاعره الذي يريد له المنزلة العالية والمكانة المرموقة عند من يتلقون شعره من المتذوقين.

وقد كانت أحكام النقاد الجاهلين تدل علي فطرتهم التي فطروا عليها في نقد الشعر وبيان جيده من رديئة. وحتى وإن كانت تلك الأحكام مجردة حقاً لكنها تحمل بين طياتها تفهماً للعصر وأصوله. وبذلك يمكننا الخروج بأصول لنقد الشعر فهمها العرب ولكنهم لم يصرحوا بها. بل كانوا يدورون ويلفون حولها دون أن يستطيعوا التعبير عنها.

فعندما يقول بعض الشعراء لصاحبه: أنا أشعر منك قال: وبِمَ ذلك؟ قال: لأنني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه.

(1) العمدة لابن رشيق ج1، ص 197، 198.

فهذا الشاعر يتحدث عن الوحدة الموضوعية في القصيدة. وقال عبيد الله بن سالم لرؤبة: مت يا أبا الجحاف إذا شئت. قال: وكيف ذاك؟ قال رأيت اليوم عقبة بن رؤبة ينشد شعراً له أعجبني: فقال رؤبة: نعم، ولكن ليس لشعره قران – يريد بقوله " قران " المشابهة والموافقة"(1).

يريد أن ابنه لا يقرن البيت بشبهه. فرؤبة هنا يؤمن بالوحدة الموضوعية في القصيدة.

وقال بعض الشعراء لرجل: أنا أقول في كل ساعة قصيدة، وأنت تقرضها في كل شهر فلِمَ ذلك ؟ قال: لأني لا أقبل من شيطاني مثل الذي تقبله من شيطانك.

وأنشد عقبة بن رؤبة أباه رؤبة بن العجاج شعراً وقال له: كيف تراه؟ قال: يا بني إن أباك ليعرض له مثل هذا يميناً وشمالاً فما يلتفت إليه. وقد رووا مثل ذلك مع زهير وابنه كعب(2).

وهكذا نجد أن الرجل في رده يقرر مبدأ مهما من مبادئ قرض الشعر – وهو أن الشاعر يجب ألا يقول الشعر إلا بعد معاناة ومعاينة للتجربة التي يصدر عنها شعره – وهو ما اهتم به النقد بعد ذلك وألح عليه النقاد وطالبوا به الشعراء. أي أن يأتي شعرهم عن طبع لا عن تكلف.

وهناك مرحلة أخري من مراحل النقد في العصر الجاهلي وتتمثل تلك المرحلة في تحكيم من يُري جديراً بهذه المنزلة وجدارته إنما تأتيه من ممارسته للشعر وبصره به وإدراكه لأسرار جماله.

ولاشك أن العرب في ذلك العصر لم تكن لديهم الحصيلة النقدية القوية التي يحتكمون إليها ويقدرون الأشخاص من خلالها.

---

(1) البيان و التبيين للجاحظ، ج1، ص 205.
(2) البنيان و التبيين للجاحظ، ج1، ص 206، 207

ويعرفون من يصلح للتحكيم علي هداها. ولذلك يأتي إبداعه الفني وشعره ونتاجه وتاريخه الأدبي الطويل في المقدمة لترشيحه لهذا المنصب الخطير.

والنابغة الذبياني قد تمكن من الوصول إلي تلك القمة العالية في العصر الجاهلي إذ رشحه تاريخه الطويل في قول الشعر وإبداعه فيه للوصول إلي تلك المكانة المرموقة. فيكون حكماً بين الشعراء، فقد ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء، قول الأصمعي: كان النابغة يضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها.

وقال أبو عبيدة يقول من فضل النابغة علي جميع الشعراء هو أوضحهم كلاماً وأقلهم سقطاً وحشواً وأجودهم مقاطع وأحسنهم مطالع ولشعره ديباجه[1].

وقد ذكر صاحب الأغاني أن النابغة كانت تضرب له " قبة من أدم بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء، فدخل حسان بن ثابت وعنده الأعشي وقد أنشده شعره وأنشدته الخنساء قولها:

قذى بعينك أم بالعين عوّار

حتى انتهت إلي قولها:

وإن صخراً لتأتم الهداة به ∴ كأنه علم في رأسه نار

وإن صخراً لمولانا وسيدنا ∴ وإن صخراً إذا نشتو لنحار

فقال: لولا أن أبا بصير أنشدني قبلك لقلت: إنك أشعر الناس، أنت والله أشعر من كل ذي مثانة قالت: والله ومن كل ذي خصيتين فقال حسان: أنا والله أشعر منك ومنها. قال: حيث تقول ماذا ؟ قال حيث

(1) الشعر والشعراء لابن قتيبة جـ1، ص 173، 174.

أقول:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى

وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق

فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

فقال: إنك لشاعر لولا أنك قللت عددِ جفاتك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك.

وفي راوية أخرى، فقال له: إنك قلت: الجفنات فقللت العدد ولو قلت "الجفان" لكان أكثر، وقلت "يلمعن في الضحى"، ولو قلت "يبرقن بالدجى" لكان أبلغ في المديح. لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً. وقلت "يقطرن من نجدة دماً" فدللت علي قلة القتل. ولو قلت "يجرين" لكان أكثر لانسياب الدم. وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك. فقام حسان منكسراً منقطعاً[1].

ونقد النابغة لحسان فيه عدة أمور:

أولها: إن النابغة شهد لحسان أنه شاعر. وقد جاء ذلك في مقدمة نقده. ولا شك في أن تقديم هذا الحكم الذي يشهد فيه النابغة لحسان بالشاعرية يدل علي ذوق النابغة وتبصره بالشعر.

ثانيهما: إن نقد النابغة لا يقوم على أسس وقواعد ثابتة وإنما يقوم أساساً علي الذوق وحده. وهذا الذوق يعتمد أساساً علي العقل والفطنة والحاسة اللغوية والتقاليد المتوارثة عند هؤلاء القوم.

فتقديس المُثل تجده في أن "الجفنات" وهي جمع مؤنث سالم لا تدل علي الكثرة مثل "الجفان" لأن جمع المؤنث السالم إنما يدل في أصل وصفه علي عدد قليل علي عكس جمع التكسير إذا كان للكثرة.

---

(1) الأغاني ج9، ص 34. طبعة دار الكتب.

والكثرة تناسب الفخر. ولو قال الشاعر "لنا الجفان" لوصل إلي ما يريد النابغة من المبالغة في الفخر.

وكذلك أيضاً في كلمة "أسيافنا" وإن كانت جمع تكسير جمع قلة وجمع القلة إنما يدل في أصل وضعه علي أعداد من ثلاثة إلى عشرة. والعدد القليل في موطن الفخر غير مستحب عند العرب ولو قال "سيوفنا" لوصل إلي الغاية من الفخر.

ومن ناحية العرف والتقاليد المتوازنة وما جري عليه العرب في الافتخار بأصولهم من آباء وأجداد – لا الافتخار بأبنائهم وفروعهم فقد طبقها النابغة أيضاً. علي قول حسان "وأكرم بنا ابنما" ولم يقل: "فأكرم بنا أباً".

فقد استهجن النابغة أن يفخر الشاعر بابنه لا بأبيه.

فقد كان الذوق مقياساً جلياً واضحاً في نقد النابغة لأنه كان يقوي في شعره ولم يكن العرب قد عرفوا علم العروض في ذلك الوقت ولكنه الذوق والأذن الموسيقية الواعية. مما جعلهم يعتمدون علي جارية تغني هذه الأبيات ليظهر النشاز واضحاً.

فقد ذكر ابن سلام في حديثه عن الطبقة الأولي " ولم يقو من هذه الطبقة ولا من أشباههم إلا النابغة في بتين وهما قوله:

أمن آل مية رائح أو مغتدى ∴ عجلان ذا زاد وغير مـــزود
زعم البوارح أن رحلتنا غدا ∴ وبذلك خبرنا الغداف الأســود

وقوله:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه ∴ فتناولتــه واتقتنا باليـــد
بمخضب رخص كأن بنانــه ∴ عنم يكاد من اللطافة يعقـــد

فقدم المدينة، فعيب ذلك عليه، فلم يأبه لهما حتى أسمعوه إياه في غناء – وأهل القرى ألطف نظراً من أهل البدو ، وكانوا يكتبون ؛

لجوارهم أهل الكتاب – فقالوا للجارية: إذا مررت إلي القافية فرتلي. فلما قالت: "الغداف الأسود"، و"يعقد" و"باليد"، علم وانتبه فلم يعد فيه. وقال: قدمت الحجاز وفي شعري ضعة ورحلت عنها وأنا أشعر الناس[1].

فالدال في البيت الأول من البيتين الأخيرين مكسورة لأنها مجرورة بالياء والدال في البيت الثاني مضمومة لأنها آخر فعل مضارع صحيح الآخر لم يسبق بناصب ولا جازم. وعلي هذا فحرف الروي قد اختلفت حركته في بيتين من قصيدة واحدة فحدث الإقواء.

وفي البيتين الأولين فإن الدال في البيت الأول مكورة لأنها مضاف إليه مجرور بالكسرة "مزود " والدال في البيت الثاني "الأسودُ" مضمومة. لأنها صفة لمرفوع وصفة المرفوع مرفوع.

وقد فطن النابغة الذبياني إلي هذا العيب بعد أن مدت الجارية صوتها بقافية البنين. فأحس النابغة الذبياني ما بهما من نشاز ولم يلبث أن غير الروي فقال: "وبذاك تنعاب الغراب الأسود".

وإذا كان تعديل النابغة لبيته لينأى به عن الإقواء اعترافاً عملياً فإنه قد اعترف صراحة بما كان في شعره من عيب إذ قال: "قدمت الحجاز وفي شعري ضعه ورحلت عنه وأنا أشعر الناس".

وقصة حكومة أم جندب بين كل من امرئ القيس وعلقمة الفحل على أيهما أشعر معروفة في كتب الأدب العربي، ويقول ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء: "وهو الذي يقال له علقمة الفحل، وسمي بذلك لأنه احتكم مع امرئ القيس إلي امرأته أم جندب لتحكم بينهما، فقالت: قولاً شعراً تصفان فيه الخيل علي روي واحد وقافية واحدة، فقال امرؤ القيس:

خليليّ مرا بي علي أم جندب ∴ نقض لبانات الفؤاد المعذب

---

(1) طبقات فحول الشعراء لابن سلام، جـ1، ص 67، 68.

وقال علقمة:

ذهبت من الهجران في كل مذهب ∴ ولم يكُ حقاً كل هذا التجنُّب

ثم أنشدها جميعاً، فقالت لامرىء لقيس: علقمة أشعر منك، قال: وكيف ذلك؟ قالت: لأنك قلت:

فللسوط الهوب وللساق درة ∴ وللزجر منه وقع أخرج مذهب

فجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك.

وقال علقمة:

فأدركهن ثانياً من عنانه ∴ يمر كمر الرائح المتحلب

فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه، لم يضربه بسوط ولا مراه بساق ولا زجره. قال: ما هو بأشعر مني ولكنك له وامق [1].

ولقد جاء حكم أم جندب زوج امرىء القيس لعلقمة أن قالت لزوجها: جهدت فرسك بسوطك في زجرك ومريته بساقك، أما علقمة فأدرك الصيد فرسه ثانياً من عنانه ولم يضربه بسوطه ولم يتعبه. فلم يقبل امرؤ القيس هذا الحكم وقال: ما هو بأشعر مني ولكنك له عاشقة، وطلقها.

وحكم أم جندب هذا لم يأت دقيقاً لأنه نظر إلي جزئية واحدة فهو لا يخرج عن دائرة الذوق الأدبي الذي عايش أقوال الشعراء وأوصافهم واتجاهاتهم في الأوصاف وقبولها أو رفضها.

ومن التحكيم أيضاً ما نقل إلينا – في نقد الشعر الجاهلي – من أن طرفة بن العبد وفد علي عمرو بن هند فأنشده شعرا لعمرو بن كلثوم التغلبي أوله:

ألا أنعم صباحاً أيها الربع واسلم ∴ نحييك عن شحط وإن لم تكلم

---

(1) الشعر والشعراء لابن قتيبة جـ1، ص 224، 225.

فلما بلغ في وصف بعيره قوله:

وقد أتناسي الهم عند ادكاره ∴ بناج عليه الصيعرية مكدم

قال طرقة: "استتوق الجمل" يريد أن الشاعر قد وصف الجمل بما توصف به الناقة [1].

ولا شك في أنها ملحوظة قريبة جداً من الذوق العربي الذى عهد أن تكون الصيعرية للناقة لا للجمل.

وقد كان معظم العرب أو أكثرهم يجيدون نقد الشعر بلباقتهم أو طبيعتهم سواء كانوا من الشعراء أو الرواة. أو المحكمين. ولذلك تجدهم يحددون لنا ملامح الشعر الجيد التي يجب توافرها عند من يقول الشعر.

يقول حسان:

وإن أشعر بيت أنت قائله ∴ بيت يقال إذا أنشدته صدقا

وإنما الشعر لب المرء يعرضه ∴ على المجالس إن كيسا وإن حمقا

ويقول محمد بن مناذر:

لا تقل شعراً أو لا تهجم به ∴ إذا ما قلت شعراً فأجد

ويقول دعبل بن علي:

سأقضي ببيت يحمد الناس أمره ∴ ويكثر من أهل الروايا تحامله

يموت ردئ الشعر من قبل أهله ∴ وجيده يبقى وإن مات قائله[2]

وهكذا نجد أن حسان يشترط أن يكون الشعر صادقاً بعيداً عن المبالغة وملائماً للواقع – يكشف عن حقيقة فكر الشاعر وما يتمتع به من ذكاء وعبقرية، أو ما فيه من تفاهة وحمق.

أما محمد بن مناذر فإنه يوصي الشاعر بالتأني عند قوله الشعر

(1) الموشح للمرزباني ص 76، وما بعدها، والأغاني ج26، ص 122.
(2) العمدة لابن رشيق، ج6، ص 95.

وإطالة التفكير والتعمق حتى يسلم شعرهم من العيوب، فإذا اطمأن إلي جودته قاله.

أما دعبل بن علي فإنه يعرف كيف يجمع في شعره كل رونق فيقول البيت الذي يحمد عند الناس والذي يطير في الآفاق لأن الرواة سوف يستجيدونه ويحفظونه ويحملونه معهم في كل مكان يحلون به فالشعر الجيد سيبقي خالداً أبد الدهر، أما الشعر الرديء فإنه يموت من لحظة النطق به، ولا يستطيع ذلك إلا شاعر فحل لذلك نجد الحطيئة يقول:

الشعر صعب وطويل سلمه ∴ والشعر لا يسطيعه من يظلمه

إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه ∴ زلت به إلي الحضيض قدمه

يريد أن يعربه فيعجمه[1]

فالبيئة العربية – كما تري – بيئة ناقدة. فالنقد قديم عند العرب قدم الشعر عندهم. فقد كان الشاعر ينقد شعره قبل أن يذيعه، ويضع الملامح التي تميز الشعر الجيد من الرديء والحكام والجمهور يتلقفون ذلك الشعر فيبدون رأيهم فيه. وكل ذلك كان مرجعه الذوق والطبع والسليقة العربية الخالصة. فللشعر العربي طبيعته المتفقة مع فكر ووجدان العرب.

وإننا نلاحظ تلك الأحكام النقدية كانت عفوية حتى الذين كتبوا في النقد لم يصرحوا بأن كتبهم هذه للنقد فلم يصرح بهذا اللفظ أحد قبل قدامة بن جعفر في كتابه "نقد الشعر" وإن كانت الآراء التي سجلوها في كتبهم تحسب في النقد.

فأول من قدم كتاباً في هذا المضمار هو محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة 232هـ الذي ألف كتابه "طبقات فحول الشعراء" وأبو العباس ثعلب المتوفى سنة 291هـ في كتابه "قواعد الشعر"، وقدامة بن جعفر

---

(1) المصدر السابق، جـ1، ص 96، 180، 181.

المتوفى سنة 310هـ في كتابه "نقد الشعر" وابن طباطبا العلوي المتوفى سنة 322هـ في كتابه "عيار الشعر" والآمدي المتوفى سنة 370هـ مؤلف كتاب "الموازنة بين أبي تمام والبحتري"، ثم المرزباني صاحب كتاب "الموشح" والمتوفى سنة 384هـ، والقاضي الجرجاني صاحب كتاب "الوساطة"، والثعالبي في "يتيمة الشعر" والمتوفى سنة 329هـ وابن رشيق في كتاب "العمدة" والمتوفى سنة 413هـ.

وفي هذه المؤلفات ستجد نقد الجاهليين ونقد النحويين واللغويين الذين ظهروا في القرن الأول الهجري ليعرض أمزجة خاصة وحكماً ذهنياً خاصاً[1].

مظاهر القبلية فى الشعر الجاهلي

الشعر الجاهلى شعر ذاتى، حيث يعبر فيه الشاعر عن ذاته وعن وجدانه، وكذلك أيضاً فهو شعر قبلى لأن الشاعر يُعبر فيه عن ذات قبيلته وطموحاتها، كما يعبر عن ذاته الشخصية وطموحاته الوجدانية، ومن ثم فهناك الكثير من المظاهر القبلية فى ذلك الشعر، والتى نذكر منها:

أولاً: تحدث الشاعر دائماً بضمير الجمع ونادراً ما يتحدث بضمير المفرد، فلقد سجل شعراء الجاهلية مفاخرهم ومآثرهم، ومثالب أعدائهم، ولم تنل قبيلة من عدوها بمثل ما كانت تنال من الشعراء منهم، فقد كان لهذا السلاح الباتر خطره وعظم قدره، فهو يبث فى أبناء القبيلة روح الحمية والشجاعة وإباء الضيم، ولذلك كان شاعر القبيلة كثيراً ما يتحدث بضمير الجماعة التى يمثلها. ويعتز بانتمائه إليها. ونادراً ما يتحدث بضمير المفرد، فهو يرى مجده فى مجد قبيلته

(1) راجع: الموشح للمرزبانى " المقدمة ".

وعـزه فـى عزهـا ، ونجـد ذلـك جليـاً واضـحاً عنـد الـكـثير مـن شـعراء المعلقات بقول عمرو بن كلثوم:

أبا هِنْدٍ فلا تعجَلْ عَلَينا ∴ وأنظِرنـــا نُخَبِّــرْكَ اليقـــينا

بأنّا نُوردُ الرّايات بيضاً ∴ ونُصدِرُهنَّ حُمْراً قد روينـــا

وأيامٍ لنــا غُرٍّ طِــوالٍ ∴ عَصَينَا الملكَ فيها أن ندِيــنا[1]

ثم يقول:

وَقَدْ عَلِمَ القبائل من مَعَــدٍّ ∴ إذا قُبَبٌ بأبطَحِها بُنِينَــا

بأنا العاصِمُوَنَ بِكُـلِّ كَحْـلٍ ∴ وأنـــا البــاذِلونَ لمُجتدِينـــا

وأنا المانعون لمــا يَلِينـا ∴ إذا مـــا البِـيضُ فارقــت الجفونـا

وأنا المانِعونَ إذا قدَرْنـا ∴ وأنا المُهلكون إذا أُتينـــا[2]

وهـكـذا نلاحظ فى هذه الأبيات اختفاء الضمير الدال على المفرد وتردد الضمير الدال على الجمع فـى كـثرة واضـحة تـدل علـى قبلية هـذا الشعر لأنه يعبر عن القبلية تعبيراً صادقاً.

ثانياً: إن الشـاعر لا ينفعل بمعـروف أسـداه الممـدوح إليـه، وإنمـا يـكـون انفعالـه الأعظـم بمعـروف أسـداه الممـدوح إلى قبيلتـه. فالشـاعر لاينفعـل بمعـروف أُسْدِىَ إليـه شخصيـاً ، وإنمـا كـان انفعالـه عظيمـاً بمعـروف أُسْدِىَ إلى قبيلتـه كلـها ، أو أن هـذا الفعـل يعـود بـالنفع علـى القبيلـة بأسرها.

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك ما كان من زهير بن أبى سلمى نحو كل من الحارث بن عوف، وهـرم بـن سـنان، فقـد انفعل زهـير بالعمـل العظيم الذى قام به كـل منهمـا مـن تحمـل لـديات القتلـى مـن مالهمـا للصلح بـين

(1) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنبارى ص 387: 388.
(2) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنبارى ص 417: 419.

قبيلتى عبس وذبيان فى تلك الحرب الضروس التى كانت بينهما ، والتى كادت تفنى أبناء القبيلتين، ولا شك أن هذا العمل العظيم يعود بالنفع على الجميع وليس على الشاعر بمفرده. ولذا انبرى الشاعر يمدح هذين السيدين العظيمين، فيقول فى معلقته:

يَميناً لَنِعْمَ السيدانِ وجدتُما ∴ على كلّ حالٍ مِنَ سَحيل وَمبْرَمِ
تَدارَكتُما عَبْساً وذبيانَ بعدما ∴ تَفانَوْا ودَقّوا بَيْنَهمْ عِطْر مَنْشِمِ
وَقَدْ قُلْتُما: إنْ تُدْرِكِ السَّلْمَ واسِعاً ∴ بمالٍ ومَعْروفٍ من القولِ نَسْلَمِ
فَأصْبَحْتما منها على خَيرِ مَوْطِنٍ ∴ بَعيدينِ فيها مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمَ
عَظِيمَيْنِ فى عُلْيَا مَعدّ هُديتما ∴ ومَنْ يستبح كنزاً من المجدِ يَعْظُمِ[1]

يقول الشاعر: حلف يميناً، نعم السيدان وجدتما على كل حال، هما هرم بن سنان والحارث بن عوف، مدحهما لإتمامهما الصلح بين عبس وذبيان وتحملهما ديات القتلى، فقد تلافيا أمر هاتين القبيلتين بعدما أفنى القتال رجالهما، وبعد أن دقهم عطر منشم، وقد قلتما إن أدركنا الصلح واسعاً، أى بين القبلتين ببذل المال وإسداء المعروف، فأصبحنا على خير موطن من الصلح بعيدين عن عقوق الأقارب والإثم بقطيعة الرحم، ولقد ظفرتما بالصلح فى حال عظمتكما فى الرتبة العليا من شرف معدّ وحسبها ثم دعا لهما فقال: هديتما إلى طريق الصلاح والنجاح والفلاح، فمن وجد كنزاً من المجد مباحاً واستأصله عظم أمره.

ومن قبل ذلك وجدنا هذا الشاعر يصف لنا بشاعة تلك الحرب وضراوتها ، وصفاً يدل على كراهيتها وبغضها والرغبة فى وضع حد لها حقناً للدماء ودعوة للسلام والوئام فيقول:

---

[1]) شرح شعر زهير ص 23: 25، وشرح المعلقات السبع للزوزني ص 143: 145.

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ∴ وما هو عنها بالحديث المُرَجَّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمــة ∴ وتضرم إذا ضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثقالهـا ∴ وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئــم
فتنتج لكم غلمان أشأم كلهـم ∴ كأحمر عاد ثم ترضع فتفطــم[1]

ثالثا: ليس أمام شاعر القبيلة مجالاً للاعتذار أو التذلل لأى خطأ وقع منه.. فالاعتذار من الأغراض التى كانت شائعة فى الشعر الجاهلي، واعتذارات النابغة الذبيانى تملأ الآفاق ولكن أمام شاعر القبيلة والمتحدث باسمها، ليس هناك مجال للاعتذار أو التذلل، وذلك لأن الشاعر إذا أخطأ التزمت القبيلة كلها بخطئه وتحملته بدلاً منه، ولذا فهو لا يبالى بوشاية يسعى بها الواشون أو المغرضون لدى صاحب جاه أو سلطان، ولا يخيفه أو يفزعه غضب غاضب كائناً من كان وذلك لأن القبيلة كلها تقف من ورائه وتحميه، فلا مجال أمامه للاعتذار أو التذلل.

يقول الحارث بن حلزة فى معلقته:

أيهــا الناطــق المُرَقِّــشُ عا ∴ عند عمــرو وهــل لــذاك بقــاء؟
لا تخلــــنا علــى غراتــك إنا ∴ قبل ما قــد وشــى بنــا الأعــداء
فبقيــنا علــى الشّــناءَةِ تنم ∴ ــــنا حصون وعــزة قعســـاء
قبل ما اليوم بيضت بعيون الـ ∴ ــــــاس فيها تغيظ وإبـــاء[2]

يقول الشاعر:

أيها المخرب ما بيننا وبين الملك بتبليغك إياه عنا ما يكرهه، لا بقاء لما أنت عليه لأن ببحث الملك عنه يعرف أنه كذب محض، فلا تحسبنا متذللين خاضعين لإغرائك الملك بنا فقد وشى بنا أعداؤنا إلى

---

(1) وشرح المعلقات السبع للزوزنى ص 147: 149.
(2) وشرح المعلقات السبع للزوزنى ، طبعة عالم الكتب، ص 174 : 175.

الملـوك قبلـك. فهـا نحـن لا نـزال بـاقين علـى الـرغم مـن بغـض النـاس لنـا وإغرائهم الملوك بنا نرفع شـأننا ونعلـى حصـوننا قويـة وعـزة ثابتـة لا تـزول، فلقد أعمت عزتنا وقوتنا قبل يومنا الذى نحن فيه الآن عيـون أعـدائنا مـن الناس فهم يحسدوننا على إباء عزتنا على من كادها وتغيظها.

ويقول عمرو بن كلثوم فى معلقته أيضاً:

بأى مشيئة عمرو بن هنـــد ∴ نكـون لقيلكم فيها قطـــينا

بأى مشيئة عمرو بن هنـــد ∴ تطيع بنا الوشاة وتزدرينـــا

فإن قناتنا يا عمرو أعيـــت ∴ على الأعداء قبـلك أن تليـــنا

إذا عض الثقاف بها اشمأزّت ∴ وولتهـم عَشَـوزنه زبـــونا

ألا لا يجهلن أحدٌ علينـــا ∴ فنجهل فوق جهـــل الجاهلينـا[1]

وهـكـذا نجـد أن شـاعر القبيلـة يـرفض أن يتـذلل أو يخضـع لأى شـخص مـن النـاس كـائنـاً مـن يكـون، حتـى وإن كـان الملك نفسـه فهـو يتهدده ويتوعده ويطالبـه بعـدم السـماع للواشـين أو المغرضـين، وقـد كـان ذلك مظهراً من مظاهر القبلية فى الشعر الجاهلي.

رابعاً: إن القبيلـة تعتـبر شـعر شـعرائها ملكـاً عامـاً لهـا ولـيس خاصـاً لقائلـه، ولـذلك يقـوم بعـض الـرواة بنسـبة الشـعر إلى القبيلـة التـى ينتمـى إليهـا الشـاعر، فيقـال قـال البكـرى أو التغلبـى أو العبسـى أو الـذبيانى نسبة إلى قبيلة الشاعر. وذلك ما يفسر لنا اتجاه حركة الجمـع والتـدوين للشـعر الجـاهلى فـى بـدايتها إلى جمـع دواويـن شـعر القبـائل، فقـد كـان لكل قبيلة ديوانها الخاص بها الذى ينقله الرواة عن أبنائها.

يقـول الـدكتور ناصـر الـدين الأسـد: " كـانت القبيلـة مصـدراً مـن مصـادر شعر شعرائها.. ومن أجل ذلك أخذ العلمـاء الـرواة فـى القـرن الثـانى بعـض

---

(1) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنبارى ص 401: 426.

شعر الجاهلية من هذه القبائل ومما يرويه رواة منها من شعر شعرائها"[1].

وإن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حينما أراد أن يسمع بعض شعر أمية بن أبى الصلت الثقفي، استنشد رجلاً من ثقيف، قبيلة الشاعر وهو عمرو بن الشريد فأنشده مائة قافية"[2].

وعندما أراد عبد الملك بن مروان أن يسأل عن الشاعر ذى الإصبع العدواني، وعن أخباره، سأل فى ذلك رجلاً من قبيلة الشاعر[3].

تلك هى أهم مظاهر القبلية فى الشعر الجاهلي، والتى يتضح لنا من خلالها تحدث الشاعر بلسان قبيلته لا بلسانه هو، فجاء حديثه دائماً بضمير الجمع، ونادراً ما جاء بضمير المفرد.

كما أنه كان يرفض دائماً إظهار الاعتذار أو التذلل، لأن فى ذلك إهانة عظيمة لقبيلته وليس لشخصه فقط، كما أن مديحه وثناءه لم يكن موجهاً لشخص خصه بفضله وكرمه، وإنما كان ذلك لشخص قدم عملاً عظيماً أو معروفاً نبيلاً للقبيلة كلها، وكذلك اعتبرت القبيلة أن شعر شاعرها هو شعرها هى وملكاً عاماً لكل أفرادها يتباهون ويتفاخرون به على غيرها من القبائل.

ولنا أن نتساءل، فلقد كانت للشاعر الجاهلى مكانته المرموقة التى لا تدانيها مكانة، ولا تقاربها منزلة إلا منزلة شيخ القبيلة أو خطيبها أو أحد ساداتها.

فهل بعد هذا نستطيع أن نقول إن ذاتية الشاعر أهدرت وضعه ومكانته؛ حيث جعله البعض مجرد بوق دعاية لقبيلته؟ فهناك بعض الدارسين الذين ينكرون وضع الشاعر فى قبيلته بدعوى أنه مجرد بوق

---

(1) مصادر الشعر الجاهلى للدكتور ناصر الدين الأسد ص 232.
(2) المزهر فى علوم اللغة للسيوطى ج309/2.
(3) الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى ج937/2.

دعاية لها. ونجدهم فى هذا الإنكار يصدرون عن مقياس نقدى هو " ذاتية الفن" بمعنى أن الفن يكون معبراً عن ذات صاحبه، نابعاً من وجدانه. وهذا مقياس صحيح لا غبار عليه.

غير أننا نرى أن قياس شاعر القبيلة به، قياس قام على فهم خاطئ لذاتية الفن، وحكم متسرع على شاعر القبيلة، ولكى يتضح لنا ذلك لابد من أن نتبين وجه الخطأ أو عدم الصواب فى ذلك، فهل كون شاعر القبيلة ملزماً بأن ينطق بلسان قبيلته، يعنى أنه بوق دعاية لا يجد نفسه ولا ينفعل بذاته؟ أو هل معناه أن المجتمع كان يطالبه أو يلزمه بإلغاء شخصيته الفردية وإدماجها فى ذات القبيلة الجماعية؟

إننا لو تأملنا هذا الأمر بشيء من الدقة والإنصاف. لكان الصواب أن لشاعر القبيلة ذاتيته التى لا تظهر منعزلة عن قبيلته. فهو فرد فى تلك القبيلة وعضو من أعضائها بل إن موهبته الشعرية ومكانته الأدبية مهدت له الطريق لكى يشغل وظيفة عظيمة ذات قدر عال فى قبيلته ألا وهى قيادتها المعنوية، والتحدث بلسانها فى المحافل والمناسبات العامة، فهو فى ذلك شأنه شأن فارس. القبيلة الذى تشغله مهمة الدفاع والذود عن قبيلته فى معاركها وحروبها. أو مثله مثل شيخ القبيلة الذى يشغل وظيفته فى تولى شئون القبيلة بفضل قدراته الذاتية ومكانته الاجتماعية بين أبناء قبيلته.

فهل قال أحد بأن الفارس أو شيخ القبيلة قد أهدرت فرديته أو ذاته الشخصية بسبب شغل تلك الوظيفة العامة؟

فلماذا نقول إذن أن الشاعر لم تعد له ذات إذا نطق أو تحدث بلسان قبيلته؟ وأن ذاته انمحت فى ذات قبيلته، وإنه أصبح مجرد بوق دعاية لها؟ وهذا هو الوضع الصحيح الذى تقتضيه طبيعة الفن فى الحياة، أو أن هذا الوضع الاجتماعى للشاعر هو الذى جعل منه شيخاً

آخر لقبيلته أو فارساً يحمى حماها ويذود عنها بشعره.

فالوضع الطبيعى أن تندب القبيلة من يمثلها وجدانياً من بين أفرادها من هو أرهفهم حساً وشعوراً وأقدرهم على التعبير عنها.

فلماذا نقول إذن أن سلطان القبيلة على أفرادها لا يلغى ذاتية أى فرد منهم، ولما جعلها فردية قبلية جماعية لا فردية متفردة بذاتها لا تعرفها الحياة فى ذلك المجتمع الجاهلي، إن القبيلة كما أنها كانت تلزم الفرد أن يندمج فيها ، كانت أيضاً تلزم نفسها بهذا الفرد وتهب لنجدته إذا مسه ضيم أو جار عليه أحد ، بل على العكس من ذلك، فإنها كانت تنصره ظالماً أو مظلوماً ، عملاً بمثلهم " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً".

وقد تضطر لدخول حرب ضروس من أجل فرد منها ناله أذى أو ضرر دون أن تسأله أن يقيم الدليل على صدق دعواه.. مصداقاً لقول شاعرهم:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ∴ فى النائبات على ما كان برهانا[1]

فهل نحن إذن أمام ذاتية قبلية تندمج فيها الذاتية الفردية إلى حد يصعب الفصل بينهما؟

ولسنا نحن الذين نبتدع هذا الشعور بالذاتية الجماعية ونضيفها إلى شاعر القبيلة. فلقد كان الشاعر نفسه يحسها أصدق أحاسيس ويشعر بها أيما شعور، ويعيها أتم الوعي.

يقول الشاعر عامر المحاربي:

أُولئِكَ قَومِى إنْ يَلُذْ ببيوتهم ∴ أخُو حَدثٍ يوماً فلنْ يُتَهَضمَا[2]

ويقول حريث بن محفوظ المازني:

ألم تر قومى إن دعاهم أخوهم ∴ أجابوا وإن يغضب على القوم يغضبوا

---

(1) الشعر الشعبى العربى للدكتور/ حسين نصار، ص 35.

(2) المفضليات ص 320.

هم حفظوا غيبى كما كنت حافظاً ∴ لقومى أخرى مثلها إن تغيبــــوا[1]

وهكذا يتضح لنا أن الشاعر الجاهلى عبر عن نفسه وعن قبيلته من خلال ذاته، وإن بدء تعبيره عن مجتمعه فذلك لأنه ابن بيئته، لا يستطيع الانفصال عنها أو الفكاك منها، متأثراً ومؤثراً فى كل ما يحيط به.

وخلاصة ما نريد أن نذهب إليه هو أن الذاتية والقبلية فى الشعر الجاهلى وجهان لفكرة واحدة، هى اختلاط مشاعر الفرد بمشاعر القبيلة الفردية بالقبيلة، وغدا فخر الشاعر بذاته فخراً بقبيلته، كما غدا فخره بقبيلته فخراً بذاته.

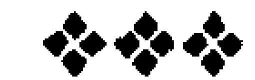
يقول الدكتور عبد القادر القط مصوراً هذه الحقيقة:

"والحق أن تلك العواطف الذاتية لم تكن بعيدة عن أمور الجماعة ووجوه نشاطها ونمط حياتها الحضارية؛ فلم يكن النسيب والوقوف على الأطلال والرحلة إلا تعبيراً من خلال التجربة الفردية عن القضايا الوجدانية والروحية والحيوية للجماعة، ولم يكن ما درج الدارسون على تسميته "غرض القصيدة الأصلى" إلا تصوراً لمشاركة الفرد فى أمور تلك الجماعة مشاركة مادية ونفسية، فالنسيب والوقوف على الأطلال ووصف الرحيل والظعائن صور متكاملة لشعور عام بالفقد لم يكن خاصاً بالشاعر وحده، بل كان شيئاً من صميم حياة الجماعة نفسها، والبطولات والأيام والوقائع لم تكن مجداً للجماعة وحدها، بل كانت فخراً ذاتياً لكل فرد من أفرادها، لذلك تحدث الشاعر عن أبطال قبيلته كأنه يتحدث عن نفسه، ووصف انتصاراتها ومفاخرها

---

(1) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ج194/1.

سواء شارك فيها أم لم يشارك، كأنها من مقومات وجوده الذاتى"[1].



مفهوم المحاكاة عند النقاد العرب

وتتفق آراء بعض نقادنا العرب الأقدمين مع آراء النقاد الأوربيين في تفسير ظاهرة المحاكاة.

فقد أوجب ابن طباطبا العلوي في كتابه "عيار الشعر" على الشاعر المبتدئ "أن يديم النظر في الأشعار التي قد اخترناها لتلصق معانيها بفهمه، وترسخ أصولها في قلبه، وتصير مواد لطبعه، ويذرب لسانه بألفاظها، فإذا جاش فكره بالشعر أدي إليه نتائج ما استفادة مما نظر فيه من تلك الأشعار، فكانت تلك النتيجة كسبيكة مفرغة من جميع الأصناف التي تخرجها المعادن"[1].

وكذلك يشير ابن طباطبا العلوي في كتابه "عيار الشعر" إلي أنه قد ألف كتاباً سماه "تهذيب الطبع" جمع فيه ما اختاره من أشعار الشعراء أراد به أن يقدم للراغبين في نظم الشعر أداة تعينهم علي تعاطيه وتسددهم في سبيله. إذ يرتضي من تعاطي قول الشعر بالنظر فيه، ويسلك المنهاج الذي سلكه الشعراء ويتناول المعاني اللطيفة كتناولهم إياها، فيحتذي علي تلك الأمثلة في الفنون التي طرقوا أقوالهم فيها[2].

وهكذا نجد أن ابن طباطبا العلوي يشرح في كتابه " تهذيب الطبع" فكرته التي يلزم فيها الشاعر المبتدى بالنظر في أشعار الآخرين وأثر ذلك في محاكاته لهم وتأثره بهم.

---

(1) فى الشعر الإسلامى والأموى للدكتور عبد القادر القط، ص 274، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

(1) عيار الشعر لابن طباطبا العلوي ص 23، 24 دراسة وتحقيق دكتور/محمد زغلول سلام، الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية سنة 1980م.

(2) المصدر السابق، ص21.

ثم نري القاضي الجرجاني يقيم الشعر علي أساس الطبع والرواية والذكاء ثم يجعل الدربة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه حيث يقول: "إن الشعر علم من علوم العرب يشترك في الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدربة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرّز، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان"(1).

ثم نجد أن الجرجاني لا يفاضل في هذه القضية بين القديم والمحدث، والجاهلي والمخضرم والأعرابي والمولد.

ثم يربط الجرجاني بين مفهومه للمحاكاة وأثر الرواية في ذلك يقول: "أنني أري حاجة المحدث إلي الرواية أمس وأجده إلي كثرة الحفظ أفقر فإذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع الذكي لا يمكنه تناول ألفاظ العرب إلا رواية ولا طريق للرواية إلا السمع وملاك الرواية الحفظ"(2).

ونجد أيضاً أن أبا هلال العسكري يسير علي نهج كل من ابن طباطبا العلوي والجرجاني في التنبيه علي أهمية المحاكاة في الفن حيث يقول: "ولو أن القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته أن يقول، وإنما ينطق الطفل بعد سماعه من البالغين"(3).

فإذا جاز لنا في ضوء ذلك المفهوم الذي قدمناه للمحاكاة – أن تفسر التشابه في الأشعار من حيث تداول المعني وصياغته في العصور المتأخرة عن بداية الشعر العربي في العصر الجاهلي، فكيف يمكن تفسير هذه الظاهرة في العصر الجاهلي نفسه؟، وهو ضيق الحدود من الناحية الزمنية، وقد لاحظ الجاحظ ذلك حين أراد تحديد العصر الجاهلي حيث

(1) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص 15 – للقاضي الجرجاني. تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم – علي محمد البجاوي – مطبعة الحلبي وشركاه.
(2) المصدر السابق ص 15، 16.
(3) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ن ص 202 – تحقيق علي محمد البجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم – مطبعة عيسي البابي الحلبي وشركاه.

يقول:-

"وأما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه: امرئ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة.. ثم يستطرد فيقول: فإذا استظهرنا الشعر، وجدنا له – إلي أن جاء الله بالإسلام – خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام"[1].

إذن فشعراء العصر الجاهلي من حيث أزمانهم قريب من قريب، حيث لا يتجاوز ما وصل إليه من أشعار ذلك العصر مائتي عام علي أكثر تقدير.

وهكذا نجد أن العصر الجاهلي ضيق الحدود من الناحية الزمنية، فإذا استطعنا تفسير ظاهرة المحاكاة في ذلك العصر القصير من الناحية الزمنية فكيف تفسر تلك الظاهرة عندما نجدها في شعر الشاعر الواحد، وكأنه يحتذي نفسه ويحاكي شعره. ولقد لفتت هذه الظاهرة نظر الباحثين في الشعر الجاهلي لفتاً قوياً، وخاصة أنها لا تعتمد علي المعاني المشتركة المتداولة موضوعه في صياغة جديدة فحسب. بل تعتمد أيضاً علي الاشتراك في الصياغة، والتطابق في بعض الأحيان[2].

الأمر الذي يدفع بعض الباحثين إلي وسم الشعر الجاهلي بالتكرار وانحصار المعاني.

يقول في ذلك الدكتور/ شوقي ضيف:

"إن الشعراء كانوا يرددون معاني بعينها، حتى لتتحول قصائدهم إلي ما يشبه طريقاً مرسوماً يسيرون فيه، كما تسير قوافلهم سيراً رتيباً، وكانوا هم أنفسهم يشعرون بذلك شعوراً دقيقاً، مما جعل

(1) الحيوان للجاحظ ج1، ص 74 – تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون.
(2) الشعر العربي في العصر الجاهلي ص 150، دكتور/ محمد مصطفى هدارة – مركز الشنهابي للطباعة والنشر، سنة 1990م.

زهيراً يقول بيته المأثور إن صح أنه له:

ما أرانا نقولُ إلا معاراً ∴ أو مُعاداً مِن لَفظنا مكرورا

فهو يشعر أنهم يبدءون ويعيدون في ألفاظ ومعان واحدة، ويجددون علي طراز واحد، طراز تداولته مئات الألسنة بالصقل والتهذيب، ونراه في موضع آخر يصف الشعراء الجاهلين بالإفراط في النزعة الحسية.

ثم يقول: "وهذه الحسية فيهم جعلتهم لا يتسعون بمعانيهم، بل جعلتهم يدورون حول معان تكاد تكون واحدة، وكأنهم اصطلحوا علي معان بعينها فالشعراء لا ينحرفون عنها يمنه ولا يسرة، فما يقوله طرفة في الناقة، يقول فيها غيره، وما يقول امرؤ القيس في بكاء الديار يقوله جميع الشعراء.

واقرأ حماسية كمعلقة عمرو بن كلثوم فستجد الشعراء الحماسيين لا يكادون يأتون بمعني جديد. وقل ذلك في غزلهم ومديحهم ورثائهم فالشعراء يتداولون معاني واحدة وتشبيهات وأخيلة واحدة، ومن ثم تبدو في أشعارهم نزعة واضحة للمحاكاة والتقليد وجني عليهم ذلك ضيقاً واضحاً في معانيهم[1].

ويعلق الأستاذ الدكتور هدارة علي ذلك بقوله:

"وهذه الآراء موضع نظر، ففيها مبالغة في وصف النزعة الحسية في الشعر الجاهلي، وفيها مجاوزة للواقع حين نجعل الحسية سبباً في وجود معان مشتركة. وليس معني دوران الوصف علي معان ثابتة، جمود الشعر الجاهلي عليها وحدها.

وأذكر في هذه المناسبة أن سدني لى Sidney lee قد أدعي أن شكسبير احتذى في وصفه للفرس قصيدة دى برتاس Du. Bortas

(1) الشعر العربي في العصر الجاهلي، ص 150، 151 – دكتور محمد مصطفي هدارة.

فعقب علي ذلك أحد النقاد ساخراً من الادعاء.

وقال: أن هذا أمر طبيعي ما دام الشاعران يغترقان من منهل واحد. وأورد وصفاً للفرس لشاعر ثالث هو بولشي Pulci يتفق مع معاني القصيدتين السابقتين ليدلل علي أن معاني الشعراء الثلاثة قد اتفقت لأنهم سجلوا أحسن أوصاف للفرس متعارف عليها في عصرهم (1).

أما إحساس الشعراء الجاهليين بأن أشعارهم تسير في طريق مرسوم كما سلف القول في تفسير بيت زهير الذي يمكن أن نضيف إليه قول ابنه كعب، وربما كان البيتان شيئاً واحداً.

يقول كعب بن زهير: (2)

وما أرانا نَقولُ إلا رَجيعاً ∴ ومُعاداً من قَولِنا مكروراً

ومعني البيت أو البيتين معاً: أننا ما نقول شيئاً إلا وقد سبقنا إليه ونحن نعيد أقوالنا مرة بعد مرة لتقادم العهد.

ويقول امرؤ القيس: (3)

وُقُوفاً بها صَحْبي عليَّ مطِيَّهمْ ∴ يقولون لاَ تهلِكْ أسًي وتجمَّلِ

وقريب منه قول طرفه: (4)

وُقُوفاً بها صَحْبي عليَّ مطِيَّهمْ ∴ يقولون لاَ تهلِكْ أسًي وتجلَّدِ

فقد أعاد طرفه بيت امرئ القيس ولم يغير فيه إلا القافية، فقال تجلد بدلاً من تجمل.

---

(1) الشعر العربي في العصر الجاهلي، ص 151 – دكتور / محمد مصطفي هدارة.

(2) شرح ديوان كعب بن زهير ص 154 – نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب 1369هـ، 1950م الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة

(3) ديوان امرئ القيس، ص 9 – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – الطبعة الخامسة، دار المعارف.

(4) أشعار الشعراء الستة الجاهلين للأعلم الشنتمرى ج2، ص 40، الطبعة الثانية 1401هـ - 1981م، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

ولعل هذا هو الذي جعل عنترة يقول:(1)

هل غادر الشعراء من متردم ∴ أم هل عرفت الدار بعد توهم

معناه.. هل ابقي الشعراء لأحد معني إلا وقد سبقوا إليه. أو بعبارة أخري إن الأول لم يترك للآخر شيئاً كما قال النقاد العرب بعد ذلك.

وقد مر بنا من قبل قول زهير وابنه كعب وهما يدوران في نفس المعني السابق. ويعلق الأستاذ الدكتور هدارة علي ذلك بقوله:

"وهذه الفكرة نادي بها لابروبير la Bryere في النقد الأوروبي في القرن السابع عشر الميلادي، في قولته المشهورة T ou est did التي حللها سانتسيري Saintslury قال:

"لا شك أن كل شيء قد قيل منذ زمن بعيد، فالمعاني وإنما تثيرها فكرة الحياة والموت، ومنظر الشروق والغروب، والبسمة والخجل، والصهباء حين تتقد في الكأس، والليل المهول.. إلي آخر هذه الأشياء التي لا تتغير في أي عصر من العصور، لكن الذي يظن أن تداول الشعراء هذه المعاني لا يدع مجالاً للتجديد في الشعر، إنما يعمي عن الحقائق.

فإحساس الشعراء الجاهلين إذن صادق في تكرار المعاني الكلية، وهذا هو المفهوم الصحيح لأقوالهم، إذ يستحيل أن يعترفوا بأنهم نسخ مكررة في صياغة أفكارهم والتعبير عنها(2).

وإذا رجعنا للشعر الجاهلي في ضوء ما قدمناه وفسرنا به مفهوم المحاكاة، لوجدنا أنفسنا أمام أنواع كثيرة ظهرت في هذا الشعر وتنتمي جميعاً إلي فكرة المحاكاة في ظاهرها ولكنها قد تغايرها أحياناً في طبيعتها وأبرز هذه الأنواع ما ينتهي إلي المحاكاة انتماء حقيقياً، وأقصد به تحاور الشعراء الجاهلين المعني الواحد في أوصاف محددة يديرونه في

---

(1) شرح ديوان عنترة، ص 117، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – الطبعة الأولي 1405هـ - 1985م.
(2) الشعر العربي في العصر الجاهلي، د/ هدارة، ص 152.

صياغة جديدة أو متقاربة أو متحدة.

فالناقة التي تكاد نجد وصفتها في كل شعر جاهلي، تستأثر بقدر كبير من هذه المعاني المشتركة. وخاصة في التشبيهات التي يصعب التوسع فيها، وكذلك الصيغ التعبيرية المتشابهة التي استخدمها الشعراء الجاهليون في مدحهم وفخرهم ووصفهم وغير ذلك من أغراضهم الشعرية.

❖❖❖

نصوص أدبية تحمل بين طياتها أحكاما نقدية

نطرح من خلال هذه النصوص الأدبية الكثير من النظرات النقدية التي صدرت عن الجاهلين في بعض شعرائهم الذين قدموهم علي غيرهم. حيث نري أن هذه النظرات النقدية الصائبة هي البداية الحقيقية لنشأة النقد وتطوره. فقد أقام عليها نقادنا الكثير من أحكامهم النقدية التي تناولوها في كتبهم ومؤلفاتهم. مما جعل من النقد علماً قائماً بذاته وليس تابعا للأدب. كما كان يعتقد البعض وتلك هي أهم هذه النصوص:

1 – قيل للحطيئة: من أشعر الناس؟ فأخرج لسانه فقال: هذا إذا طمع..[1].

2 – عن أبي عبيدة قال: سئل الحطيئة: من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

لا أعد الافتقار عدماً ولكن ⁂ فقد من قد رزئته الإعدامُ

(1) شرح شواهد المغني للسيوطي، ج1، ص 478.

وهو لأبي دواد الإيادي[1].

قالوا: ثم من؟ قال: عبيد بن الأبرص[2]. قالوا: ثم من؟ قال: كفاكم والله بي، إذا أخذتني رغبة أو رهبة، ثم عويت في أثر القوافي عُواء الفصيلِ في أثر أمّه.

3 – لما حضرت الحطيئة الوفاةُ اجتمع إليه قومه فقالوا: يا أبا مليكة: أوص فقال: ويل للشعر من راوية السوء. قالوا: أوص رحمك الله يا حُطيء، فقال: من الذي يقول:

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت

∴ ترنم ثكلي أوجعتها الجنائزُ

قالوا: الشماخ.. قال: أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب. قالوا: ويحك! أهذه وصية؟ أوص بما ينفعك.. قال: ابلغوا أهل ضابئ أنه شاعر حيث يقول:

لكل جديد لذة غير أنني ∴ رأيت جديد الموت غير لذيذ

قالوا: أوص ويحك بما ينفعك... قال: أبلغوا أهل امرئ القيس أنه أشعر العرب حيث يقول:

فيا لك من ليل كأن نجومه ∴ بكل مغار الفتل شدت بيذبل

قالوا: اتق الله ودع عنك هذا... قال: أبلغوا الأنصار أن صاحبهم أشهر العرب حيث يقول:

يغشون حتى ما تهر كلابهم ∴ لا يسألون عن السواد المقبل

قالوا: هذا لا يغني عنك شيئاً، فقل غير ما أنت فيه، فقال:

الشعر صعب وطويل سلمه ∴ إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

(1) قال ابن رشيق راداً رأي الحطيئة: "وهو – وإن كان فحلاً قديماً، وكان امرؤ القيس يتوكأ عليه، ويروي شعره – فلم يقل فيه أحد من النقاد مقالة الحطيئة، العمدة: 97/1.

(2) شرح شواهد المغني: ج360/1، الأغاني للأصفهاني ج226/17 الذي يقول:
أفلح بما شئت فقد يبلغ بالضعـ ∴ ـف، وقد يخدع الأريبُ

زلت به إلي الحضيض قدمه ∴ يريـــد أن يعربـــه فيعجمه

قالوا: هذا مثل الذي كنت فيه. ألك حاجة؟.. قال: لا والله، ولكن أجزع علي المديح الجيد يمدح به من ليس له أهلاً.

قالوا: فمن أشعر الناس؟. فأومأ بيده إلي فيه: وقال:هذا الحُجير إذ طمع في خير (يعني فمه)[1].

4 – تذاكر الحطيئة وسعيد بن العاص الشعر، فقال الحطيئة: "وما أصبتم جيد الشعر، ولو أعطيتم القوس باريها بلغتم ما تريدون"... ثم أنشد:

الشعـــراء فأعلمنّ أربعـــــة ∴ فشاعـــرٌ لا يُرتجـــي لمنفعـــة

وشاعرٌ يُنْشِدُ وسط المجمعة ∴ وشاعـــــر آخر لا يُجري مَعَهْ

وشاعر يُقالُ: خمر في دَعَهْ[2].

5 – عندما سمع الحطيئة قول الفرزدق:

قياماً ينظرون إلي سعيد ∴ كأنهم يـــرون به هلالاً

قال لسعيد بن العاص: "هذا والله الشعر، لا ما كنت تعلل به منذ اليوم، فقال كعب بن جميل: فضلته علي نفسك فلا تفضله علي غيرك. قال: بلي والله إنه ليفضلني وغيري. يا غلام[3]، أدركت من قبلك، وسبقت من بعدك، ولئن طال عمرك لتبرزن"[4].

6 – أتي قوم الرسول – صلي الله عليه وسلم – فسألوه: من أشعر الناس؟ فقال: ائتوا حسان، فأتوه، فقال: ذو القروح، يعني امرأ القيس[5].

7 – سئل حسان من أشعر الناس؟ فقال: حياً، أم رجلاً ؟ قالوا: حياً،

---

(1) الأغاني للأصفهاني، ج2 ص 195 – 197.
(2) خمر: أي غط وجهك حياء من قبح ما أتيت به. شرح شواهد المغني: ج1، ص 477.
(3) كان الفرزدق غلاماً أول عهده بالشعر.
(4) الأغاني للأصفهاني، ج21، ص 323.
(5) شرح شواهد المغني، ج1، ص 23.

قال هذيل، وأشعر هذيل غير مدافع، أبو ذؤيب[1].

8 – سئل حسان: "من أشعر الناس؟ فقال: قبيلة أم قصيدة؟ قيل: كلاهما. قال: "وأما أشعرهم قبيل فهذيل، وأما أشعرهم قصيدة فطرفة"[2].

9 – سئل حسان: من أشعر الناس؟ قال: أبو إمامة، يعني النابغة الذبياني[3].

10 – أنشد النابغة الذبياني النعمان بن المنذر:

تراك الأرضُ إما متَّ خِفا ∴ وتحيا إن حَييت بها ثقيلاً

فقال النعمان: هذا بيت إن أنت لم تتبعه بما يوضح معناه كان إلي الهجاء أقرب منه إلي المديح، فأراد النابغة ذلك فعسر عليه، فقال: أجلني، قال: قد أجلتك ثلاثاً.. فأتي النابغة زهير بن أبي سلمي، فأخبره الخبر، فقال زهير: أخرج بنا إلي البرية، فإن الشعر بري، فخرجا، فتبعهما ابن لزهير يقال له كعب، فقال: يا عم أردفني، فصالح به أبوه، فقال النابغة: دع ابن أخي يكون معنا، فأردفه، فتحاورا البيت ملياً، فلم يأتهما ما يريدان، فقال كعب: فما يمنعك أنت تقول:

وذاك بأن حللتَ العزَّ منها ∴ فتمنع جانبيها أن يزولا

فقال النابغة: جاء بها ورب الكعبة، لسنا والله في شيء. قد جعلت لك يا ابن أخي ما جعل لي. قال: وما جعل لك يا عم؟ قال: مائة من العصافير[4] نجائب. قال: ما كنت لأخذ علي شعري صفداً[5]. فأتي

---

(1) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ج1، ص 131، وأنظر شرح شواهد المغني: ج1، ص 28.
(2) شرح شواهد المغني: ص 805.
(3) شرح شواهد المغني: ج1، ص 80.
(4) العصافير: إبل نجائب كانت للملوك.
(5) الصفد: العطاء.

النابغة النعمان بالبيت، فأخذ مائة ناقة سوداء الحدقة[1].

11 – قال حسان: خرجت أريد عمرو بن الحارث بن أبي شمر الغساني، فلما كنت في بعض الطريق وقفت علي السعلاة [2] صاحبة النابغة، وأخت المعلاة صاحبة علقمة بن عبدة... إني مقترحة عليك بيتاً فإن أنت أجزته شفعت لك إلي أختي، وإن لم تجزه قتلتك فقلت: هات. فقالت:

إذا ما ترعرع فينا الغلام ∴ فما إن يقال له: من هُوَهْ

قال: فتبعتها من ساعتي، فقلت:

فإن لم يسد قبل شد الإزار ∴ فذلك فينا الذي لا هوه

ولي صاحب من بني الشيصبان ∴ فحيناً أقول وحيناً هوه

فقالت: أولي لك، نجوت فاسمع مقالتي وأحفظها: "عليك بمدارسة الشعر، فإنه أشرف الآداب وأكرمها وأنورها، به يسخو الرجل، وبه يتظرفُ، وبه يُجالس الملوك، وبه يُخْدَم، وبتركه يتضيعُ. ثم قالت: إنك إذا وردت علي الملك وجدت عنده النابغة، وسأصرف عنه معرته، وعلقمة بن عبدة، وسأكلم السعلاة حتي ترد عنك ثورته.

قال حسان: فقدمت علي عمرو بن الحارث، فاعتاص علي الوصولُ إليه، فقلت للحاجب بعد مدة: إن أنت أذنت لي عليه وإلا هجوت اليمن كلها، ثم انتقلت عنها، فأذن لي عليه، فلما وقفت بين يديه وجدت النابغة جالساً عن يمينه، وعلقمة جالساً عن يساره. فقال لي: يا ابن الفريعة، قد عرفت عيصك – أي أصلك – ونسبك في غسان، فارجع فإني باعث إليك بصلة سنية، ولا أحتاج إلي الشعر، فإني أخاف عليك هذين السَّبعين أن يفضحاك، وفضيحتك فضيحتي. وأنت اليوم لا تُحْسِنُ أن تقول:

---

(1) الموشح للمرزباني: ص58

(2) السعلاة: الغول، تجمع علي السعالي.

رفاق النعال طيب حُجزاتُهم ∴ يُحيونَ بالريحان يوم السباسِبِ

فقلت: لا بد منه. فقال: ذاك إلي عميك، فقلت أسألكما بحق الملك ألا ما قدمتماني عليكما؟ فقالا: قد فعلنا. فقال: هات، فأنشأت أقول والقلب وجل:

أسألت ربع الدار أم لم تسأل ∴ بين الجوابي فالبضيع فحومل(1)

حتى أتيت علي آخرها. فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل(2) عن مجلسه سروراً حتى شاطر البيت، وهو يقول: هذه والله البتارة التي قد بترت المدائح. هذا وأبيك الشعر، لا ما تعللاني به منذ اليوم يا غلام، ألف دينار مرجوحة. ثم أقبل علي النابغة فقال: قم يا زياد بني ذبيان فهات الثناء المسجوع، فقال النابغة: "ألا أنعم صباحاً أيها الملك المبارك، السماء غطاؤك، والأرض وطاؤك"... فرفع عمرو ابن الحارث رأسه إلي جارية كانت علي رأسه قائمة، فقال: مثل ابن الفريعة فليمدح الملوك، ومثل ابن زياد فليثن علي الملوك(3).

12- جاء عن حماد الراوية قوله: كانت العرب تعرض أشعارها علي قريش فما قبلوه كان مقبولاً، وما روده منها كان مردوداً. فقدم عليهم علقمة بن عبدة، فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم ∴ أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

فقالوا هذه سمط الدهر. ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشدهم:

طحا بك قلب في الحسان طروب ∴ بعيد الشباب عصر حان مشيب

فقالوا: هاتان سمطا الدهر(4).

13- كانت العرب تعجب بقصيدة سويد بن أبي كاهل اليشكري، وتقدمها وتعدها من الحكم، وهي:

---

(1) الجوابي والبضيع وحومل: أسماء أمكنة.
(2) يزحل: يتنحي ويتباعد.
(3) شرح شواهد المغني للسيوطي: 1/379 – 382
وانظر: الأغاني للأصفهاني: 15/157 – 161.
(4) الأغاني للأصفهاني: ج21/201.

بسطت رابعـــة الحبل لنــــا ∴ فوصلنا الحبل منها ما اتسع[1]

14- قيل لأبي عمرو بن العلاء: هل أقوي أحد من فحول شعراء الجاهلية كما أقوي النابغة؟ قال: نعم، بشر بن أبي خازم، قال:

ألم تر أن طول الدهر يسلي ∴ وينسي مثل ما نسيت جذام

وكانوا قومنا فبغوا علينـــا ∴ فسُقناهم إلي البلد الشـــامي

قال له أخوه سمير – أو سواده – أكفأت وأسأت. قال: وما ذاك؟ قال: كما نسيت جُذام. ثم قلت: إلي البلد الشامي. فقال: قد تبينت خطئى، ولست بعائد[2].

15 – لما بدأ كعب بن زهير يقول الشعر كان زهير ينهاه مخافة أن يكون لم يستحكم شعره فيروي له ما لا خير فيه، فكان يضربه في ذلك. ثم خرج يوماً علي ناقته، وأردف كعباً خلفه، ثم خرج يضرب ناقته، وهو يريد أن يتعنت ابنه كعباً (أي يطلب إعناته وزلله) ويعلم ما عنده، ويطلع علي شعره، فقال زهير حين برز من الحي:

إني لتعديني علي الهمُ جســـرة ∴ تجب بوصال، صروم، وتعنق

ثم ضرب كعباً، وقال: أجز يا لكع، فقال كعب:

كبناية القرني موضع رحلهــــا ∴ وآثار نسعيها من الدف أبلق[3]

ثم راح زهير يقول بيتاً وابنه يقول بيتاً، ثم اعتسف طريقاً آخر في الشعر، فبدأ في وصف النعام، وترك نعت الإبل، وقال وكعب يجيز.. ثم أخذ زهير بيد ابنه كعب ثم قال: وقد أذنت لك يا بني في الشعر، فلما نزل كعب وانتهي إلي أهله وهو صغير يومئذ قال:

أبيت فما أهجو الصديق ومن يبع ∴ بعرض أبيه في المعاشر ينفق[4]

16 – قال الحطيئة لكعب بن زهير: قد علمت روايتي شعر أهل البيت

---

(1) شرح شواهد المعني للسيوطي، ص 740.
(2) الموشح للمرزياني: ج80، الشعر والشعراء لابن قتيبة ج270/1
(3) الدف: المشي. النسع: سير مضفور يجعل زماماً.
(4) شرح ديوان زهير لثعلب: 186، الأغاني للأصفهاني ج83/17 – 85.

وانقطاعي، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك، وتضعني موضعاً، فإن الناس لأشعاركم أروي، وإليها أسرع. فقال كعب:

فمن للقوافي؟ شأنها من يحوكها ∴ إذا ما ثوى كعب وفوز جرول

يقول، فلا يعيا بشيء يقوله ∴ ومن قائليها من يسيء ويعمل

كفيتك لا تلقي من الناس واحدا ∴ تنخل منها مثل ما يتنخل

يثقفها حتى تلين متونها ∴ فيقصر عنها كل ما يتمثل[1]

17- تحاكم الزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، وعبدة بن الطيب[2]، والمخبل السعدي إلي ربيعة بن حُدار الأسدى فى الشعر: أيهم أشعر؟ فقال للزبرقان: أما أنت فشعرك كلحم أسخن لا هو أنضج فأكل، ولا ترك نيئاً فينتفع به. وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرود حبر[3]، يتلألأ فيها البصر، فكلما أعيد فيها النظر نقص البصر. وأما أنت يا مخبل فإن شعرك قصر عن شعرهم، وارتفع عن شعر غيرهم[4]. وأما أنت يا عبدة فإن شعرك كمزادة[5] أحكم خرزها فليس تقطر ولا تمطر[6].

18- اجتمع الزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، وعبده بن الطيب والمخبل السعدي التميميون في موضع، فتناشدوا أشعارهم. فقال لهم عبده: والله لو أن قوماً طاروا من جودة الشعر لطرتم. فإما أن تخبروني عن أشعاركم، وإما أن أخبركم. قالوا: أخبرنا. قال: فإني أبدأ بنفسي. أما شعري فمثل سقاء وكيع – وهو الشديد يصطنعه الرجل فلا يسرب عليه، أي لا يقطر – وغيره من الأسقية أوسع منه. وأما أنت يا زبرقان

---

(1) طبقات فحول الشعراء، لابن سلام ج1، ص 104، 105.
(2) في الأغاني أنه علقمة بن عبدة.
(3) البرود: برد، وهو الثوب المخطط. حبر: موشاة.
(4) في الأغاني أنه قال له: " فإن قصرت عن الجاهلية ولم تدرك الإسلام ".
(5) المزادة: إناء من جلد يوضع فيه الماء.
(6) الموشح للمرزباني: 107 – 108، الأغاني للأصفهاني 203/21.

فإنك مررت بجزور منحورة فأخذت من أطايبها وأخابئها. وأما أنت يا مخبل فإن شعرك العلاط والعراض.

العلاط: ميسم الإبل في العنق، والعراض: سمة في عرض الفخذ[1].

19- سئل لبيد: من أشعر الناس؟ قال: "الملك الضليل[2]. قيل: ثم من؟ قال: الشاب القتيل[3]. قيل: ثم من؟ قال: الشيخ أبو عقيل[4]. يعني نفسه"[5].

20- قال الأصمعي: "كان طفيل الغنوي يُسمي في الجاهلية محبِّراً، لحسن شعره"[6].

كان الحطيئة يقول: "خير الشعر الحولي المنقح المُحكك"[7].

كان زهير يسمي كُبْرَ قصائده "الحوليات المنقحة"[8].

21- قال الأعشى: "لما خرجت أريد ابن قيس بن معدي كرب بحضرموت أضللت في أوائل أرض اليمن، لأنني لم أكن سلكت ذلك الطريق، فلما أضللت في أوائل أرض اليمن، أصابني مطر، فرميت ببصري كل مرمي أطلب لنفسي مكاناً ألجأ إليه، فوقعت عيني علي خباء من شعر، فقصدت نحوه، فإذا أنا بشيخ علي باب الخباء، فسلمت فرد السلام وأدخل ناقتي إلي بيت، إلي جانب البيت الذي كان جالساً علي بابه، وقال: أحطط رحلك، واسترا!

قال: فحططت رحلي، وجاءني بشيء، فجلست عليه. قال: من تكون وأين تقصد؟ قلت: أريد قيس بن معدي كرب، قال: أظنك قد مدحته بشعر؟

---

(1) الموشح للمرزباني، ص 108.
(2) يعني امرأ القيس.
(3) يعني طرفه بن العبد.
(4) في الأغاني حيث يقول:

إذ تقوى ربنا خـــــــير نفـل ∴ وبإذن ربي ريثي والعجـــــــل
أحمد الله ولا نـــــــــد لـه ∴ بيديه الخير ما شاء فعـــــــل
من هداه سبل الخير اهتدي ∴ ناعم البال ومن شاء أضـــل

(5) العمدة لابن رشيق القيرواني، ج1، ص 95 – الأغاني للأصفهاني، ج15 ص 372.
(6) فحولة الشعر للأصمعي: ص 10
(7) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ج1، ص 78.
(8) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ج1، ص 78، وإعجاز القرآن: 122.

قلت: نعم. قال أنشدنيه، فابتدأت أنشده:

رَحلتْ سُمية غُدوَةً أجمالَهـــا ∴ غضبي عليك، فما تقول بدالها؟

فقال: حسبك! أهذه القصيدة لك؟ قلت: نعم، ولم أكن أنشدتها منها إلا بيتاً واحداً، فقال: من سمية التي شببت بها؟ فقلت: لا أعرفها، ولكنه اسم ألقي في روعي فاستحسنته فتشببت. فنادي: يا سمية، اخرجي. فإذا جارية خماسية قد خرجت، فوقفت وقالت: ما تشاء يا أبه، فقال: أنشدي عمك قصيدتي التي مدحت بها قيس بن معدي كرب وتشببت بك في أولها، فاندفعت، فأنشدتها من أولها إلي آخرها ما حرفت منها حرفاً واحداً، فلما أتمتها قال: انصرفي فانصرفت. ثم قال: هل قلت شيئاً غير هذه؟ قلت: نعم، كان بيني وبين ابن عم لي، يقال له: يزيد بن مسعر– ويكني أبا ثابت – ما يكون بين بني العم، فهجاني وهجوته، فأفحمته، قال: وما قلت فيه؟ قال: قلت قصيدة أولها:

ودع هريرة إن الركب مرتحل ∴ وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

فأنشدته بيتاً فقال: حسبك، ثم قال: من هريرة التي شببت بها قلت: لا أعرفها، وسبيلها سبيل التي قبلها، أعني سمية، فنادي هريرة! فإذا جارية قريبة السن من الأولي فقال: أنشدي عمك قصيدتي التي هجوت بها أبا ثابت يزيد بن مسهر. فأنشدتها من أولها إلي آخرها ما حرفت منها حرفاً واحداً، فسقط في يدي وتحيرت وتغشتني رعدة، فلما رأي ما نزل بي قال: ليفرج روعك أبا بصير، أنا هاجسك مسحل بن أثاثة الذي ألقي علي لسانك الشعر، فسكنت نفسي، ورجعت إلي، وسكن المطر، فقلت له أدللني علي الطريق، فدلني عليه، وأراني سمت مقصدي وقال: لا تعج يميناً ولا شمالاً حتى تقع ببلاد قيس" [1].

هذا الذي دار بين الأعشى وبين هاجسه مسحل بن أثاثة إن صحت

---

(1) شرح شواهد المغني للسيوطي: ص 968، 969.

روايته إنما يؤيد ما كانت تذهب إليه العرب من أن لكل شاعر شيطان أو جن يوحي له بالشعر. ومن ثم يقول شاعرهم:

فكيف أنا وانتحالي القوافي ∴ بعد المشيب، كفي ذاك عاراً[1]

22 – عن حماد قال: نظر النابغة الذبياني إلي لبيد بن ربيعة وهو صبي، مع أعمامه علي باب النعمان بن المنذر، فسأل عنه فنسب له، فقال له: يا غلام، إن عينيك لعينا شاعر، أفتقرض من الشعر شيئاً؟ قال: نعم يا عم. قال: فأنشدني شيئاً مما قلته، فأنشده قوله:

"ألم تربع علي الدمن الخوالي"

فقال له: يا غلام أنت أشعر بني عامر، زدني يا بني، فأنشده:

"طلل لخولة بالرسيس قديم"

فضرب بيديه إلي جنبيه وقال: أذهب فأنت أشعر قيس كلها، أو قال: هوازن كلها[2].

23– عن عبد الله بن قتادة المحاربي قال: كنت مع النابغة بباب النعمان ابن المنذر، فقال لي: هل رأيت لبيد بن ربيعة فيمن حضر؟ قلت: نعم. قال: أيهم أشعر؟ قلت: الفتي الذي رأيت من حاله كيت وكيت. فقال: أجلس بنا حتى يخرج إلينا. قال: فجلسنا، فلما خرج قال له النابغة: إلي يا ابن أخي، فأتاه فقال: أنشدني، فأنشده قوله:

ألم تُلْمِمْ علي الدِمن الخوالي ∴ لسَلمــي بالمذانب فالقُفَالِ

فقال له النابغة: أنت أشعر بني عامر. زدني، فأنشده:

طَلَلٌ لخولة بالرُسيس قديــم ∴ فبعاقل فالأنعميــن رسوم

فقال له أنت أشعر هوازن، زدني، فأنشده قوله:

عفت الديار محلها فمقامهــا ∴ بمنى تأبد غولها فرجامها

---

(1) شرح مقامات الحريري للشريشي: 268/1.
(2) الأغاني للأصفهاني: ج15، 377.

فقال له النابغة: اذهب فأن أشعر العرب [1].

24- أقبل النابغة الذبياني يريد سوق بني قينقاع، فلحقه الربيع بن أبي الحُقيق[2]، فحاضت[3] بالنابغة ناقته، فأنشأ يقول:

كادت تهال[4] من الأصوات راحلتي

ثم قال للربيع: أجز يا ربيع، فقال:

والنفر منها إذا ما أوجست خلــق

فقال النابغة: ما رأيت كاليوم شعراً، ثم قال:

لولا أنهنهها [5] بالسوط لاجتذبـت

أجز يا ربيع، فقال:

مني الزمام وإني راكـــــب لبق

فقال النابغة:

قد ملت الحبس في الآطام واستعفت

أجز يا ربيع، فقال:

إلي مناهلها لو أنـــــــها طلق

فقال النابغة: "وأنت يا ربيع أشعر الناس" [6].

25- قال حسان بن ثابت: قدم النابغة المدينة، فدخل السوق، فنزل عن راحلته، ثم جثا علي ركبتيه، ثم اعتمد علي عصاه، ثم أنشأ يقول:

عرفت منازلاً بعُريتنـــات .:. فأعلي الجزع للحَي المُبن[7]

فقلت: هلك الشيخ ورأيته قد تبع قافية منكرة، قال: ويقال: إنه قالها في موضعه، فما زال ينشد حتي أتي علي آخرها ثم قال: ألا رجل ينشد؟

(1) الأغاني للأصفهاني: ج15، ص 378.
(2) من شعراء اليهود. ترجم له ابن سلام في طبقة شعراء اليهود: ص 281
(3) حاضت الناقة: نفرت وحادت.
(4) تهال: يعتريها الهول.
(5) أنهنهها: أزجرها.
(6) الأغاني للأصفهاني: ج22، ص 128، 129.
(7) عريتنات: اسم موضع. المبن: المقيم.

فتقدم قيس بن الخطيم، فجلس بين يديه وأنشده:

أتعرف رسما كاطراد المذاهب

حتى فرغ منها، فقال: أنت أشعر الناس يا ابن أخي. قال حسان: فدخلني منه، وإني في ذلك لأجد القوة في نفسي عليهما، ثم تقدمت فجلست بين يديه، فقال: أنشد فو الله إنك لشاعر قبل أن تتكلم، قال: وكان يعرفني قبل ذلك، فأنشدته، فقال: أنت أشعر الناس. قال الحسن ابن موسي: وقالت الأوس: لم يزد قيس بن الخطيم النابغة علي:

أتعرف رسماً كاطراد المذاهب

نصف البيت، حتى قال: أنت أشعر الناس[1].

26- دخل الحطيئة علي عُتيبة بن النهاس العجلي، فسأله من أشعر العرب؟ فقال: الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه

∴ يفره، ومن لا يتق الشتم يُشتم

يعني زهيراً. قال: ثم من؟ قال: الذي يقول:

من يسأل الناس يحرموه ∴ وسائل الله لا يخيب

يعني عبيدا. قال: ثم من؟ قال: أنا[2].

27- سئل الحطيئة عن زهير فقال:

ما رأيت مثله في تكفيه علي أكناف القوافي، وأخذه بأعنتها حيث شاء، من اختلاف معانيها، امتداحاً وذما. قيل له: ثم من؟ قال: ما أدري. إلا أن تراني مُسلنطحاً[3] واضعاً إحدى رجليَّ علي الأخرى رافعاً عقيرتي أعوي في أثر القوافي[4].

28- زعم الحاتمي "أن النابغة سئل: من أشعر الناس؟ فقال: "من

(1) الأغاني للأصفهاني: ج3، ص 8، 9.
(2) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ج1، ص 325.
(3) اسنلطح: وقع علي ظهره.
(4) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ج1، ص 144.

استجيد جيده، وأضحك رديئه"[1].

ومما لا شك فيه أن هذه النصوص الأدبية التى أشرنا إليها فى الصفحات السابقة؛ حملت بين طياتها بعض النظرات النقدية الصائبة.

كما أنها جاءت على ألسنة فئة من الشعراء كالحطيئة وحسان والنابغة والأعشى وكعب بن زهير ولبيد بن ربيعة..وغيرهم. وهؤلاء لهم مكانتهم ومنزلتهم وحاستهم التذوقية والنقدية.

كما أن بعض هذه النصوص الأدبية جاء على ألسنة رواة محترفين كحماد الراوية والأصمعى وأبى عمرو بن العلاء.... وغيرهم، مما يجعل هذه النظرات النقدية تؤسس لأحكام نقدية راسخة صدرت على ألسنة بعض نقادنا القدامى، وضمنوها كتبهم ومؤلفاتهم النقدية، والتى تعد من أمهات كتب النقد العربى القديم.



(1) علق ابن رشيد علي الخير قائلاً:
"وهذا كلام يستحيل مثله عن النابغة، لأنه إذا أضحك رديئه كان من سفلة الشعراء، إلا أن يكون ذلك في الهجاء خاصة ".
وانظر: العمدة لابن رشيق، ج1 ص 115.

الفصل الثاني
النقد في صدر الإسلام

الفصل الثاني
النقد في صدر الإسلام

موقف الإسلام من الشعر:

عندما ظهر الإسلام وانتشر في شبه الجزيرة العربية وما حولها، انقسم النقاد والباحثون علي أنفسهم، ففريق يقول بضعف الشعر ولينه في الإسلام عنه في الجاهلية.

وفريق آخر يقول بنهضة الشعر وقوته واحتفاظه بقيمته وأهميته في الإسلام كما كان عليها في الجاهلية. وإن تغيرت مناهجه وصححت مفاهيمه.

أما الفريق الثالث فقد وقف موقفاً وسطاً بين من يقولون بضعف الشعر ولينه ومن يقولون بنهضته وقوته.

وقبل أن نخوض في الحديث مع المؤيدين والمعارضين نذكر بعض النصوص التي جعلت المعركة تشتد بينهم ومن هذه النصوص قوله تعالي: "وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ(224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ(225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ(226) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(227)".[1]

وقول الرسول – صلي الله عليه وسلم – في شأن امرئ القيس ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها، منسى في الآخرة خامل فيها يأتي يوم القيامة مع لواء الشعراء إلي النار.

وما روي عنه – صلي الله عليه وسلم – : "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً"[2].

---

(1) سورة الشعراء – الآيات " 224 – 227 ".
(2) العمدة لابن رشيق، ص 12 – 15.

ولنقف وقفة قصيرة مع الآية الكريمة والحديثين الشريفين لنتبين موقف القرآن الكريم والرسول – صلي الله عليه وسلم – من الشعر قبل أن نخوض في الحديث مع المؤيدين والمعارضين لضعف الشعر ولينه في الإسلام.

ففي الآية السابقة نجد أن هناك فريقين من الشعراء، الفريق الأول وهم الضالون المضللون، وهم الذين في كل واد يهيمون ويقولون ما لا يفعلون ويتبعهم الغاوون.

وهؤلاء هم الشعراء المشركون الذين يصدون عن سبيل الله ويهجون رسوله – صلي الله عليه وسلم.

أما الفريق الثاني فهو فريق المؤمنين الذين يجندون شعرهم ويستخدمونه لخدمة الإسلام ونشر القيم الدينية وتعاليمه وهم الذين استثناهم الله في قوله تعالي: **"إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ"**.

وجاء في تفسير الكشاف أن هذه الآية: "وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ..." نزلت في شعراء المشركين: عبد الله بن الزبعرى وعبيرة بن أبي وهب، وصافع بن عبد مناف وأبي بن عزة الجمحي وأمية بن أبي الصلت، قالوا: نحن نقول مثل قول محمد: وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب ويستمعون إلي أشعارهم وأحاجيهم، ولذلك فهم الغاوون للذين يتبعونهم" (1).

وجاء في تفسير ابن كثير، قيل: "بعد أن نزلت الآية **"وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ.."** توجه حسان بن ثابت وعبد الله بن رواة وكعب بن مالك إلي رسول الله – صلي الله عليه وسلم. وهم يبكون، قالوا قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء، فتلا النبي – صلي الله عليه وسلم: **"إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ"** قال: أنتم. **"وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا"**. قال: أنتم.

(2) الكشاف ج2، ص 440.

"**وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا**". قال: أنتم[1].

ويعلق صاحب العمدة علي هذه الآيات الكريمة تحت قوله:" باب في الرد علي من يكره الشعر " فيقول: " فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالي: "**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ... مَا لَا يَفْعَلُونَ**" فهو غلط وسوء تأويل، لأن المقصود بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله – صلي الله عليه وسلم – بالهجاء ومسوه بالأذى، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك، ألا تسمع كيف استثناهم الله – عز وجل – ونبه عليه فقال: "**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا**".

يريد شعراء النبي – صلي الله عليه وسلم – الذين ينتصرون له ويجيبون المشركين عنه كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، وقد قال فيهم النبي – صلي الله عليه وسلم – "هؤلاء النفر أشد علي قريش من نضح النبل"[2].

وهكذا يتضح لنا أن المعيب في الآية الكريمة " **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ...**" ليس الشعر لذاته، وإنما المعيب هم الشعراء الذين يطرقون في شعرهم المعاني والأغراض المنافية لتعاليم الإسلام.

وأما عن ما روي عن رسول الله – صلي الله عليه وسلم – في شأن "امرئ القيس" وحمله لواء الشعراء يقودهم إلي النار، فهذه الراوية يتناولها الإخباريون واللغويون ورجال الأدب، كابن قتيبة في الشعر والشعراء. عيون الأخبار "كما رواها أبو الفرج الأصفهاني في كتابه "الأغاني" ونقلها "ياقوت" في "معجم البلدان".

وأما رجال الحديث وهم الحجة فيما ينسب إلي الرسول - صلي

(1) تفسير ابن كثير ج6، ص 186.
(2) العمدة لابن رشيق ج1، ص 23.

الله عليه وسلم – فيمنعون هذه الراوية أو ينكرونها[1].

وأما الحديث **"لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحاً ودماً خيراً له من أن يمتلئ شعراً "** فإن هذا الحديث لا يتفق في ظاهره مع ما روي عن النبي – صلي الله عليه وسلم – من إعجابه بالشعر وتقديره له ولقائله؟ فكيف يتفق ذلك وقوله – صلي الله عليه وسلم - : **"إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه"**، وقوله أيضاً: **"إنما الشعر كلام: فمن الكلام خبيث وطيب"**[2].

وقد فسر أبو داوود وهذا أقرب إلي الصواب لأن رسول الله – صلي الله عليه وسلم – ينهي عن انشغال المؤمن بالشعر لدرجة تشغله عن القرآن الكريم والحديث النبوي.. وربما كان يقصد المشركين في حديثه.

وقد عنون البخاري في صحيحه: "باب ما يكره أن يكون الغالب علي الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن"[3].

وبعد هذه الوقفة الموجزة نتناول موقف كل من المؤيدين والمعارضين لضعف الشعر ولينه في الإسلام ذاكرين أدلة كل فريق والرد عليها.

الفريق الأول: وهم الذين قالوا بضعف الشعر ولينه في الإسلام عنه في الجاهلية، ومما استدلوا به في ذلك قول الأصمعي " الشعر نكد بابه الشر فإذا دخل الخير ضعف.

وهذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره " وقال مرة أخري " شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر فقطع متنه في الإسلام لحال النبي – صلي الله عليه وسلم[4].

---

(1) أنظر: تعليق الأستاذ / أحمد محمد شاكر في كتاب "الشعر والشعراء" لابن قتيبة.
(2) العمدة لابن رشيق، ج1، ص 27.
(3) المرجع السابق، ج1، ص 43.
(4) الشعر والشعراء لابن قتيبة ج1، ص 311.

ويقول ابن سلام: " كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهي حكمهم، به يأخذون وإليه يصبرون... فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر، فلم يؤولوا إلي ديوان مدون ولا كتاب مكتوب. وألفوا ذلك، وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عليهم منه كثير[1].

ويقول ابن خلدون: "أعلم أن الشعر كان ديواناً للعرب فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم، وكان رؤساء العرب منافسين فيه.. ثم انصرف العرب من ذلك أو الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه، فأخرسوا عن ذلك، وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً"[2].

أما الفريق الثاني من النقاد فقد عارضوا هذه الأقوال ورفضوا القول بضعف الشعر وانصراف الشعراء عنه. مؤكدين استمرار نهضته وقوته في الإسلام. بما هيأ له الإسلام من أسباب للنهضة والقوة.

يقول الدكتور/ شوقي ضيف: ومن يرجع إلي هذه المصادر يستقر في نفسه أن الشعر ظل مزدهراً في صدر الإسلام. وليس بصحيح أنه توقف أو ضعف كما ظن ذلك ابن خلدون وتابعه فيه بعض المعاصرين، إذ يقول في مقدمته: "انصرف العرب عن الشعر أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي، وما أنعشهم من أسلوب القرآن ونظمه. فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً، ثم استقر ذلك وأوتي الرشد من الملة. ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر، وحظره، وسمعه النبي – صلي

(1) طبقات فحول الشعراء لابن سلام، ج1، ص 24، 25.
(2) مقدمة ابن خلدون، ص 513.

الله عليه وسلم وأثاب عليه، فرجعوا حينئذ إلي ديدنهم منه.

وكأنه يجعل توقفهم عن الشعر مدة نزول الوحي لعصر الرسول، وواضح أن هذا لا يصدق علي المشركين لأنهم لم يشغلوا بالدعوة، ومعروف أن جمهور القبائل العربية إنما دخل في الإسلام بعد فتح مكة في العام الثامن للهجرة، وإذن فانصرافهم عن الشعر – إن صح – إنما كان لمدة عامين، أي إلي أن انتقل الرسول – صلي الله عليه وسلم – إلي الرفيق الأعلى، وهو نفسه ينقض ما قاله في أول كلامه بما قاله في آخره من أن الرسول سمع الشعر وأثاب عليه.

ونحن نعرف أنه كان يقف بجانبه ثلاثة من شعراء المدينة يدافعون عنه ويردون علي شعراء مكة وغيرهم من خصومة، ذا تدين مدافعين[1].

ولعل الذي دفع ابن خلدون إلي كلامه السابق ما جاء عن ابن سلام وتناقله الرواة بعده من قوله " فجاء الإسلام وتشاغلت عن الشعر العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس الروم ولهت العرب الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلي ديوان مدون ولا كتاب مكتوب وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك وذهب عليه منه كثير[2].

وابن سلام إنما يقول ذلك ليدل علي أن شعراً عربياً كثيراً ضاع من يد الزمن، وكان يكفيه ما قاله من أنهم لم يدونوه وأنهم اكتفوا بروايته، فإن شأن الرواية إذا طال العهد بها أن لا تحتفظ بكثير من الشعر وأن يسقط منه غير قليل.

---

(1) العصر الإسلامي، د/ شوقي ضيف، ص 43.
(2) طبقات ابن سلام ج15، ص 25.

أما قوله بأن العرب لهت عن الشعر وشغلت عنه بالجهاد فينقضه ما تحمله كتب الأدب والتاريخ من منظوماته الكثيرة، ومن أسماء ناظمه[1].

ويقول الدكتور/ شوقي ضيف: "ومن الظلم للإسلام أن يقال أنه كف العرب من الشعر ووقف نشاطه، فقد كان ينشد علي كل لسان.

وساعدت الأحداث علي ازدهاره لا علي خموله سواء في معركة الإسلام مع الوثنيين والمرتديين. أو في الفتوح أو في معركة علي مع خصومه في العراق.

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الإسلام أذكي جذوته وأشعلها إشعالاً، فإن أحداثه حلت من عقد الألسنة وأنطقت بالشعر كثيرين لم يكونوا ينطقونه. فإذا بنا نجد مكة التي لم تعرف في الجاهلية بشعر كثير لقلة شعرائها. وإذا بنا إزاء عشرات من الشعراء في الفتوح لم يشتهروا بالشعر ونظمه قبلها[2].

وإذا كان ابن خلدون في قوله السابق يري انصراف الشعراء عن الشعر في فترة وجيزة من حياة الإسلام الأولي انبهاراً بأسلوب القرآن ونجده من نظمه، فإنه في مكان آخر من مقدمته نجده يتحدث عن الشعراء الإسلاميين ويري أن شعرهم أعلي طبقة وأفصح وأروع بلاغة من كلام الجاهليين وشعرهم، ثم نجده يعقد موازنة بين جماعة من الشعراء في صدر الإسلام، وجماعة من شعراء الجاهلية فيقول: " إن كلام الإسلاميين من العرب أعلي طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهليين في منثورهم ومنظومهم، فإذا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والحطيئة وجرير والفرزدق ونصيب، وذي الرمة والأحوص وبشار، ثم كلام السلف من العرب في الدولة الأموية وصدراً من الدولة

(1) العصر الإسلامي، د/ شوق ضيف، ص 44.
(2) العصر الإسلامي، د/ شوق ضيف، ص 46.

العباسية في خطبهم وترسيلهم ومحاوراتهم للملوك، أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد من كلام الجاهلين في منثورهم ومحاوراتهم.

والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز عن الإتيان بمثليهما، لكونها ولجت في قلوبهم ونشأت علي أساليب نفوسهم، فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة علي ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة، ولا نشأ عليها، فكان من كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصغي وفقاً من أولئك وأرصف مبني وأعدل تثقيفاً بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك إن كنت من أهل الذوق والتبصر بالبلاغة[1].

ورداً علي القائلين: بأن شعر حسان قد ضعف وتراجع بد الإسلام لأن شيطانه قد تبدل ملكاً.

فهذا غير صحيح لأن معظم النقاد يرون أن ما جاء في شعر حسان من لين وضعف لم يكن في شعره الصحيح بل جاء في شعره المتحول. ومن يحاول التعمق في ديوان حسان بين ثابت وبخاصة في شعره الصحيح المحقق. يجد أن فحولة شعره لم تفارقه سواء في الجاهلية أو في صدر الإسلام. وإن ألفاظه ما زالت تفيض فخامة وعقوبة.

ولا شك في أن ما يظهر من لين وضعف في بعض إسلامياته ليس أصيلاً في فنه، وإنما هو عارض أو مدسوس عليه ساقته ظروف خارجة عن إرادة الشاعر طارئة عليه. أو أنه دس عليه لغرض ديني أو فكاهي.

ورداً علي القائلين بأن الشعر نكد لا يقوى إلا في الشر نجد أن

(1) مقدمة ابن خلدون، ص 511 – 513.

هذا الرأي لا يتفق مع رأي النقاد الذين يجمعون علي أن القوة والضعف مردهما الأساسي إلي طبيعة الشاعر وموهبته وصدق عاطفته. فالنفوس كما أنه تنفعل بعوامل الشر فإنها تنفعل أيضاً بعوامل الخير. وقد يصل انفعالها بعوامل الخير أقصي درجاته فيرتفع شعر ما فيه إلي أسمي درجاته. وقد يكون انفعال الشاعر بحب غادته اللعوب. فلا يكمل إيمان المؤمن حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه.

أما من القائلين بأن المسلمين قد اشتغلوا بالجهاد عن الشعر فقد يكون الجهاد في سبيل الله ورسوله والفتوحات الإسلامية العظيمة التي تمت في صدر الإسلام من أكثر الروافد التي أمدت الشعر الإسلامي بالمعاني الجديدة والأفكار البديعة والأغراض القيمة الجميلة التي سادت في الشعر الإسلامي.

وهناك فريق ثالث: وقف موقفاً وسطاً بين القائلين بضعف الشعر ولينه والقائلين بنهضته وقوته. ومن هذا الفريق الدكتور/ يوسف خليف في كتابه "حياة الشعر في الكوفة" حيث يقول: "ولسنا ندعي أن القرآن صرف العرب جميعاً عن قول الشعر أو أخرس ألسنتهم حتى لم تعد تنطق به. وإنما الذي نقرره هو أنه أضعف من سيطرته علي المجتمع الأدبي الإسلامي. بعد أن كان هو اللون الأساسي في الحياة الأدبية الجاهلية. وإذا كان لبيد قد فكر في أن يسلم قيثارته فقد كان هناك غيره احتفظوا بقيثارتهم دون أن يحطموها.

إن الرجة الدينية والأدبية التي آثارها القرآن الكريم في نفوسهم وفي المجتمع الإسلامي من حولهم كادت تزلزل الأوتار في أيديهم وتجعل الناس لا يجدون في فنهم تلك المتعة الآسرة التي كان القدماء يجدونها في الشعر القديم. أو علي أقل تقدير لا يجدون وقتهم ما يجعلهم يلتفون حولها

ليستمعوا لهم كما كان أسلافهم يفعلون[1].

◆◆◆

الشعر في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)

لقد ولد النبي – صلي الله عليه وسلم – ونشأ بين قوم أبرز ما في حياتهم الشعر. قوم يسحرهم البيان وتطربهم الفصاحة والبلاغة، قوم كان الشعر ديوانهم وسجل مفاخرهم، ووسيلتهم لتخليد ذكراهم.

وقد عبر الرسول عن ذلك كله بقوله " لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين[2]. وروي عنه – أيضاً – أنه بني لحسان بن ثابت منبراً ينشد عليه الشعر[3].

وهناك الكثير من الروايات التي تفيد بأن النبي – صلي الله عليه وسلم – كان يتأثر بالشعر الذي يحمل في طيه حثاً علي الفضائل وحثاً علي المكارم أو تحريضاً علي الشجاعة في سبيل الحق وتقديم المروءة.

لذلك تجده قرب الشعراء الذين آمنوا ودافعوا عن الإسلام بشعرهم وزادوا عن حياضه وقعدوا لشعراء المشركين وكان شعرهم لا يقل فتكا عن ضرب السيف.

وعلي الرغم من أنه – صلي الله عليه وسلم – كان يطرب للشعر ويتأثر به ويثني علي الخير منه، إلا أنه لم يؤثر عنه أنه قال شعراً قط ولا رواء لأحد الشعراء. لا قبل البعثة، ولا بعدها، كما أنه لو كان راوية للشعر لما كذب القرآن الكريم المشركين في وصفهم له – صلي الله عليه وسلم بأنه شاعر وأن ما جاء به من عند ربه من آي القرآن "إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ".

ولكن الله – سبحانه وتعالي – أقسم على أنه ليس بشاعر،

---

(1) حياة الشعر في الكوفة للدكتور/ يوسف خليف، ص 656.
(2) العمدة لابن رشيق، 20/3.
(3) المرجع السابق نفسه

فقال – سبحانه - : " فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ" (1).

وقال – سبحانه - : "وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ" (2).

وقال – أيضاً - : " وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ" (3).

محمد – صلي الله عليه وسلم – لم يكن معدا لأن يكون شاعراً، وإنما كان معدا لأن يحمل رسالة سماوية سمحة، وكانت أقواله – صلي الله عليه وسلم – وأفعاله وتقاريره واجتهاداته تشريعا يضاف إلي التشريع السماوي وركناً أساسياً من أركان الشريعة الإسلامية يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم. يفسر مجمله ويوضح المشكل منه وتفسير ما يحتاج إلي تفسير. وهو في كل ذلك قد أوتي الحكمة وفصل الخطاب فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي، وإذا كانت هذه سبيله – صلي الله عليه وسلم – فكيف يكون شاعراً.

بالتأكيد ليس بشاعر ولا ينبغي له أن يكون شاعراً، ولكنه – صلي الله عليه وسلم – كان يتمثل بالشعر ومن ذلك ما روي عن السيدة عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان يتمثل ببيت أخي بني قيس "طرفة بن العبد":

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ∴ ويأتيك ما لم تزود بالأخبار

فقال له أبو بكر: ليس هكذا، فقال النبي – صلي الله عليه وسلم:

(1) سورة الحاقة – الآيات " 38: 41 ".
(2) سورة يس – الآية " 69 ".
(3) سورة العنكبوت – الآية " 48 ".

"إني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي" [1].

وقال الحسن البصري: إن النبي – صلي الله عليه وسلم – كان يتمثل بصدر هذا البيت علي هذه الصورة:

كفى بالشيب والإسلام للمرء ناهياً

فقال أبو بكر: إنما قال الشاعر:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً

فقال عمر: أشهد أنك رسول الله، يقول الله – تعالي –: " وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ " [2].

وحين فضل رسول الله – صلي الله عليه وسلم – الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن في العطاء على العباس بن مرداس قال العباس أبياتاً منها:

أصبح نهبي ونهبي العبيد بين عيينة والأقرع

فبلغ الرسول – صلي الله عليه وسلم – ذلك فقال له: أنت القائل:

أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة.

فقال أبو بكر – رضي الله عنه –: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لم يقل ذلك، ولا والله ما أنت بشاعر ولا ينبغي لك الشعر، وما أنت براوية. قال: كيف ؟ قال: فأنشده أبو بكر البيت. فقال الرسول – صلي الله عليه وسلم - :" هما سواء لا يضرك بأيهما بدأت بالأقرع أو بعيينة" [3].

وفي هذا كله ما يدل علي أن الرسول – صلي الله عليه وسلم – لم يكن شاعراً ولم يجر لسانه بقول الشعر ولا روايته ولكنه كان يتأثر بالشعر الذي يحث علي الفضائل ومكارم الأخلاق.

---

(1) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية تحقيق حسن فيض الله ص91.
(2) السراج المنير ج3 /293.
(3) الأغاني للأصفهاني: ج3 / 65.

نظرات نقدية للرسول – صلي الله عليه وسلم –:

عندما كان يستمع النبي – صلي الله عليه وسلم – إلي إنشاد الشعراء كان يستمع بعقلية الناقد البصير، وكثيرا ما كان يوجه الشعراء نحو الصحيح من القول والحسن من الكلام. وأكثر ما كان ذلك حين يشم رائحة الجاهلية في كلام الشعراء المسلمين وكان يستحسن شعر الجاهلين الذي يتفق ومبادئ الإسلام وأخلاقه، وكان للشعر تأثير كبير في نفسه – صلي الله عليه وسلم، فيشفع لمن اتخذ الشعر وسيلة للاعتذار ويعفو عنه وكذلك كان يهدر دم من اتخذ الشعر سلاحاً لمحاربة الدعوة الإسلامية وهجا المسلمين وحرض عليهم وكذلك الذين ارتدوا بعد إيمانهم كافرين.

والأمثلة علي ذلك كثيرة نسوق منها: ما روي عنه – صلي الله عليه وسلم – عندما سمع كعب بن مالك يقول:

مدافعنا عن جذمنا كل فخمة ∴ مذربة فيها القوانس تلمـــع

طلب من كعب أن يبدل كلمة "جذمنا" بكلمة "ديننا" وانشرح صدر كعب لذلك وبدل الكلمة، وذلك لأن النبي – صلي الله عليه وسلم – لمح في كلمة "جذمنا" العصبية القبلية (1). وعندما يشم رائحة الجاهلية في قول النابغة الجعدي وهو ينشد قوله:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ∴ وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

فيقول له: "إلي أين أبا ليلي؟ فيقول النابغة: إلي الجنة. فيقول النبي – صلي الله عليه وسلم – وقد سر بكلامه هذا: إن شاء الله، وكثيراً ما كان – صلي الله عليه وسلم – يستحسن شعر النابغة الجعدي ويثني عليه خيراً، ومن ذلك أن النابغة حين أنشده قوله:

---

(1) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ص 223 تحقيق د/ سامي العاني.

لا خير في حلم إذا لم يكن لــه ∴ بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له ∴ حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال لـه الـنبي – صلي الله عليـه وسـلم "لا يفضـض الله فـاك" ويقال: إنه عاش مائة وثلاثين سنة لم تفضض له سن"[1].

وحينما أنشد كعب بن زهير رسول الله – صلي الله عليه وسلم – لاميته المشهورة ووصل إلي قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به ∴ مهند من سيوف الهند مسلول

قال له: من سيوف الله: فأصلحها كعب[2].

وقال ابن حبيب: أنشدت رسول الله – صلي الله عليه وسلم – قول سحيم عبد بني الحسحاس:

الحمد لله حمداً لا انقطاع له ∴ فليس إحسانه عنا بمقطوع

فقال: أحسن وصدق. وإن الله ليشكر مثل هذا، وإن سدد وقارب أنه لمن أهل الجنة[3].

وعندما أنشد لديه قول أمية بن أبي الصلت:

زحل وثور تحت رجل يمينه ∴ والنسر للأخرى وليث يرصد

قال: صدق، وهكذا صفة حملة العرش[4].

وروى عنه – صلي الله عليه وسلم – أنه قال: "أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ∴ وكل نعيم لا محالة زائـــل

وحين ينشد كعب بن مالك قوله:

جاءت سخينة كي تغالب ربها ∴ فليغلبن مغالب الغـــلاب

---

(1) العقد الفريد لابن عبد ربه: ج1 / 256.
(2) شرح بانت سعاد، تحقيق هلال ناجي ص 166.
(3) الإصابة ج109/3.
(4) الإصابة ج1 / 134.

فيقول له: لقد شكرك الله يا كعب علي قولك هذا[1].

وكان النبي – صلي الله عليه وسلم – يستحسن شعر الشعراء الجاهلين الذي يتفق مع مبادئ الإسلام وأخلاقه. ومن ذلك أنه – صلي الله عليه وسلم – حين سمع ببيت عنترة العبسي:

ولقد أبيت على الطوى وأظله ∴ حتى أنال به كريم المأكـــل

فقال – صلي الله عليه وسلم: "ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة"[2].

وحين أنشده منشد قول سويد بن عامر المصطلقي:

لا تأمنن وإن أمسيت في حرم ∴ إن المنايا بجنبي كل إنسان

فكل ذي صاحب يوما يفارقه ∴ وكل زاد وإن أبقيته فـــان

فقال الرسول – صلي الله عليه وسلم – "لو أدرك هذا الإسلام لأسلم"[3].

***

الشعر وسيلة للاعتذار:

كان للشعر تأثيره في نفس النبي – صلي الله عليه وسلم – وفي نفس من يحيطون به ولذلك كانوا يتخذونه وسيلة يتشفعون بها عنده – صلي الله عليه وسلم – والأمثلة علي ذلك كثيرة نذكر منها:

أن قبيلتي بني بكر وقريش قد تحالفتا وتظاهرتا علي قبيلة خزاعة التي كانت في حلف مع النبي – صلي الله عليه وسلم – وقد نقضت قريش عهدها مع النبي – صلي الله عليه وسلم – بما استحلته مع بني بكر من قبيلة خزاعة فخرج عمرو بن سالم الخزاعي، حتي قدم علي النبي – صلي الله عليه وسلم – ووقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس

(1) سيرة ابن هشام ج2 / 216.
(2) الأغاني للأصفهاني ج8/ 243 – دار الكتب.
(3) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي ج3 / 400.

فقال عمرو:

يا رب إنـــي ناشـــد محـــــدا ∴ حلف أبينا وأبيه الأتلــــــــــدا

قد كنتم ولـــدا وكنـــا والـــدا ∴ ثمت أسلمنا فلم ننزع يــــــــــدا

فانصر هداك الله نصرا أعتدا ∴ وادع عباد الله يأتوا مـــــــــددا

فمـا كـان مـن الـنبي – صـلي اللّه عليـه وسـلم – إلا أن اسـتجاب لـه، وقال: نصرت يا عمرو بن سالم. ثم عرض لرسول اللّه – صلي اللّه عليه وسلم – سحاب من السماء فقال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب[1].

ومن ذلك – أيضاً – أنه – صلي اللّه عليه وسلم – كان قد أهدر دم كعب بن زهير قبيل أن يسلم فجاء كعب معتذراً مؤملاً في عفو النبي – صلي اللّه عليه وسلم – فيقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء " فقدم علي رسول اللّه – صلي اللّه عليه وسلم – فبدأ بأبي بكر، فلما سلمّ النبي – صلي اللّه عليه وسلم – من صلاة الصبح جاء به وهو متلثم بعمامته. فقال: يا رسول اللّه، هذا رجل جاء يبايعك علي الإسلام، فبسط النبي – صلي اللّه عليه وسلم – يده، فحسر كعب عن وجهه، وقال: هذا مقام العائذ بك يا رسول اللّه. أنا كعب بن زهير فتجهمته الأنصار وغلظت له لذكره كان قبل ذلك رسول اللّه – صلي اللّه عليه وسلم _ وأحبت المهاجرة أن يسلم ويؤمنه النبي – صلي اللّه عليه وسلم – فأمنه واستنشده:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ∴ متيم إثرها لم يفد مكبول[2]

فعفي عنه النبي وقبل اعتذاره وأمنه علي نفسه بعد أن كان قد أهدر دمه وأباح قتله. وكساه النبي – صلي اللّه عليه وسلم – بردة اشتراها معاوية بعد ذلك بعشرين ألف درهم. وهي التي كان يلبسها الخلفاء في

(1) السيرة لابن هشام: ج3/ 294.
(2) الشعر والشعراء لابن قتيبة ج1 / 160.

العيدين.

ومن تأثيره – صلي الله عليه وسلم – بالشعر وتقديره له ما روي من أن ليلي بنت النضر بن الحارث بن كلدة لما عرضت للنبي – صلي الله عليه وسلم – وهو يطوف بالبيت واستوقفته، وجذبت رداءه حتي انكشف منكبه وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها. وقال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – " ولو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته"[1].

والشعر هو:

يا راكباً أن الأثيل مظنة ∴ من صبح خامسةٍ وأنت موفق

أبلغ بها ميتا بأن قصيدة ∴ ما إن تزال بها الركائب تخفق

فليسمعن النضر إن ناديته ∴ إن كان يسمع ميت لا ينطق

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ∴ لله أرحام هناك تشدق

تراه يقاد إلي المنية متعباً ∴ رسف المقيد وهو عان موثق

أمحمد هأنت ضنء نجيبة ∴ في قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما ∴ من الفتي وهو المغيظ المحنق

فالنضر أقرب من تركت قرابة ∴ وأحقهم إن كان عتق يعتق

وقد انفرد الجاحظ بنسبه هذا الشعر إلي ليلي بنت النضر، وأصح الأقوال وأشهرها أن صاحبة الشعر هي "قتيلة" واختلف الرواة فيها، وجاء في حماسة البحتري أنها "قتيلة بنت النضر بن الحارث، وقال إنها كانت حزمة ذات رأي وجمال.

وقتل النضر بن الحارث يوم مرجع النبي – صلي الله عليه وسلم – من بدر، وهكذا نجد أن الشعر كان وسيلة للعفو والصفح عندما يخطئ الشاعر أو يسئ إلي الإسلام وتعاليمه في شعره، فيسارع

(1) البيان والتبيين للجاحظ: ج4 / ص 43، 44.

بالاعتذار.

أما من يتمادى في غيه وفي محاربة الدعوة الإسلامية، وبيان العداء للرسول والمسلمين أو يرتد بعد إيمانه كافراً. فإن الرسول – صلي الله عليه وسلم – كان يهدر دمه.

والأمثلة علي ذلك كثير نذكر منها:

هو أن أبا عزة الجمحي: كان قد هجا رسول الله – صلي الله عليه وسلم – فأسر يوم بدر كافرا. فقال: يا رسول الله إني ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن علي من الله عليك. قال: نعم. على أن لا تعين علي – يريد بشعره – قال: نعم فعاهده وأطلق سراحه ثم قال:

ألا أبلغا عني النبي محمدا ∴ بأنك حق والمليك حميد

ولكن إذا ذكرت بدر وأهلها ∴ تأوه مني أعظم وجلود

فعاد في هجائه، ثم أسر بعد يوم أحد. فقال: يا رسول الله من علي من الله عليك. فقال الرسول – صلي الله عليه وسلم – : "لا يلدغ المرء من جحر مرتين". والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: إني خدعت محمدا مرتين. اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت فضرب عنقه"[1].

وذكر ابن هشام في سيرته – أيضاً – " أن مقيس بن صبابة الكناني. قدم من مكة مسلما فيما يظهر، فقال: يا رسول الله جئتك مسلما. وجئتك أطلب دية أخي قتل خطأ. فأقام عند رسول الله – صلي الله عليه وسلم – غير كثير. ثم عدا علي قاتل أخيه فقتله ثم خرج إلي مكة مرتداً فقال في شعر له:

شفى النفس أن قد مات بالقاع مسندا

تضرج ثوبيه دماء الأخادع

(1) سيرة ابن هشام: ج2 / 104.

وكانت همـــوم النفس مـــن قبل قتلـــــه

تلـــم فتحمينـــــي وطـــــاء المضاجع

حللت به وتـــري وأدركـــت ثؤرتـــــــي

وكنـــت إلـــي الأوثـــان أول راجـــع

ثأرت بـــه فهـــــــــــراً وحملت عقله

سراة بنـــــي النجـــــار أرباب فارع

فـأمر الرسـول – صـلي الله عليـه وسـلم – بقتلـه لقتـل الأنصـاري الذي كـان قتل أخاه خطأ ورجوعه إلي قريش مشـركاً"[1].

وهـكذا نجد أنه كـان للرسول – صلي الله عليه وسلم – نظراته الثاقبة وآراؤه النقدية السديدة التي وجه إليها الشعراء. وكمـا أنـه كـان لا يقبـل مـن الشـعر إلا مـا كـان فيـه حضـاً علـى الأخـلاق الكـريمة ودعـوة للفضـيلة. أمـا مـا عـدا ذلـك مـن الشـعر فكـان يرفضـه سـواء كـان مـن الجاهليين أو غيرهم.

وهـكذا يتضح لنا أن منهج الرسـول – صـلي الله عليه وسـلم – في نظرته إلي الشعر واضح جلي يستحسن الشعر ويستنشده ويعفو بالشعر عن المخطئين، ويقبل التوبة ويعطي علي قول الشعر ويهش لاستماعه"[2].

نظرات نقدية للخلفاء الراشدين

لقد ظهرت النظرات النقدية المتضمنة في أحكام جزئية معتمدة علي الذوق والتذوق عند الخلفاء الراشدين. ولاسيما عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقد كان عالماً بالشعر راوياً له.

روي أنه قال لابن عبـاس هـل تـروي لشـاعر الشـعراء ؟ فيقـول لـه: ومن هو ؟ قال: الذي يقول:

(1) المصدر السابق: ج2 / 293.
(2) رسالة الشعر د/ محمود زلط، ص 15.

ولو أن حمــداً يخلــد الناس أخلــدوا

ولكــن حمــد الناس ليــس بمخلـــد

قال: قلت: ذلك زهير. قال: فذاك شاعر الشعراء وقلت: وبم كان شاعر الشعراء ؟ قال: لأنه كان لا يعاظل في الكلام، وكان يتجنب وحشي الكلام ولم يمدح أحداً إلا بما فيه(1).

فقد حكم عمر بن الخطاب علي الشعر ولم يكتف بذلك، بل راح يعلل لحكمه ويوجد الأسباب لذلك الحكم، فزهير عنده شاعر " لأنه سهل العبارة لا تعقيد في تراكيبه، ولا حواش في ألفاظه، ثم هو في معانيه بعيداً عن الغلو، بعيدا عن الإفراط في الثناء، لا يمدح الرجل إلا بما فيه"(2).

فهذه النظرة إل الشعر تعد امتداداً لنظرة الجاهليين من حيث اعتمادها علي الذوق ولكنها تقدمت خطوة جديدة من حيث اعتمادها علي التعليل والتفسير وإيجاد الأسباب، وكان الحطيئة جاور الزبرقان بن بدر، فلم يحمد جواره فتحول عنه، إلي بغيض، فأكرم جواره فقال يهجو الزبرقان ويمدح بغيضاً:

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً

ذا حاجة عاش في مستوعر شاس

جــاراً لقوم أطالــوا هو منزلـــة

وغـــادروه عقيمـــاً بين أرمـــــاس

ملوا قــراه وهرتــــه كلابهـــم

وجرحـــــوه بأنيـــاب وأضـــــــراس

(1) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ج1، ص 143، 144.
(2) تاريخ النقد الأدبي عند العرب – طه أحمد إبراهيم ص 21.

دع المكـــارم لا ترحـــل لبغيتهـــــا

واقعـد فإنك أنت الطاعم الكـــــــاس

فاستعدي عليه الزبرقان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وأنشده آخر الأبيات فقال له عمر: ما أعلمه هجاك، أما ترضي أن تكون طاعماً كاسياً؟ قال: إنه لا يكون في الهجاء أشد من هذا، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فسأله عن ذلك فقال: لم يهجه ولكن سلح عليه، فحبسه عمر. وقال: يا خبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين[1].

لقد استعدى الزبرقان عمر بن الخطاب علي الحطيئة فاستمع عمر، ثم استشار حسان وجاء حكم حسان بأنه لم يهجه، وإنما سلح عليه، فحبسه عمر وهذه نظرة جديدة إلي الشعر، تدقق فيه وتبحث في مراميه.

ولما استشهد زيد بن الخطاب يوم مسيلمة ودخل متمم بن نويرة على عمر بن الخطاب فقال له: أنشد في بعض ما قلت في أخيك فأنشده شعره الذي يقول فيه:

لعمري وما دهري بتأبين مالك

ولأجـزي ممـا أصابـا فأوجعـــا

لقد غيب المنهال تحت ردائـه

فتـى غير مبطان العشيات أروعـــا

وكنا كندماني جذيمة حقبـــة

من الدهر حتى قيل لن يتصـــدعا

فلمـا تفرقنـا كأنـي ومالكـا

لطول اجتمـــاع لم نبت ليلة معا[2]

(1) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ج1، ص 333، 334.
(2) الجمهرة – ص 141، 142.

فقال له عمر: يا متمم، لو كنت أقول الشعر، لسرني أن أقول في زيد بن الخطاب مثل ما قلت في أخيك، قال: متمم: يا أمير المؤمنين لو قتل أخي قتلة أخيك ما قلت فيه شعراً ، فقال عمر: يا متمم ما عزاني أحد في أخي بأحسن مما عزيتني به(1).

وكان زيد بن الخطاب قتل شهيداً في حرب اليمامة، أما مالك فقد قتل مرتداً وفرق بين القتيلين، فالجنة للشهداء ومنهم زيد بن الخطاب والنار للكافرين المرتدين ومنهم مالك بن نويرة، وكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنقد أهل زمانه، كما شهد بذلك ابن رشيق صاحب العمدة. فقد قال عنه "وكان أنقد أهل زمانه وأنفذهم فيه معرفة"(2).

ومن مجمل أقوال عمر تتضح لنا شدة ميله إلي الشعر وحسن فهمه له وتقديره إياه ونقده له الذي لا يخرج عن مبادئ الإسلام وتعاليمه.

وهكذا كان موقف الخلفاء الراشدين من الشعر، فقد كانوا خطباء مفوهين وأهل فصاحة وبيان، وذوق وبصيرة بفنون الكلام وكانوا ذوي حسن لغوى وطبع فطرة في تذوق الفكر والأدب وتقويمه.

ومما يروي عن أبي بكر الصديق أنه عرض لرجل معه ثوب فقال له أتبيع الثوب ؟ فأجابه: لا عفاك الله، وتأذي أبو بكر مما يوهمه ظاهر اللفظ، إذ قد يظن أن النفي مسلط علي الدعاء، فقال له: لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قل: لا وعافاك الله(3).

وهذه الأمثلة وغيرها تشير إشارة واضحة علي أن النقد قد اتسع في هذه الفترة شيئاً ما عن النقد في العصر الجاهلي. وإنه يميل إلي شيء من الدقة، وهذا يعني بالضرورة تطوراً في مفهوم الشعر لدي نقاد العصر

(1) الشعر والشعراء: ج1، ص 345.
(2) العمدة لابن رشيق: ج1، ص 20.
(3) البيان والتبيين للجاحظ: ج1، ص 261.

الإسلامي، فقد زاد علي كون الشعر هو ذلك الكلام الذي يعبر عن طبيعة البدوي، أن له خصائص معينة في الصياغة، والمعاني علي الشاعر أن يلتزمها.

الخصائص الفنية للشعر في صدر الإسلام

لقد ظهرت في الشعر الإسلامي أشياء لم تكن شائعة في العصر الجاهلي، من ذلك شيوع الدعاء والقسم وغيرها من الأساليب والألوان التي كثر وجودها في الشعر الإسلامي.

وكذلك ظهر أثر الإسلام واضحاً جلياً في الألفاظ والمعاني والصور والأخيلة والتراكيب التي كونوا منها عاداتهم وصاغوا منها شعرهم، فقد اقتبس الشعراء من القرآن الكريم والحديث الشريف عندما صاغوا قصائدهم، أو أنهم صاغوا معاني القرآن والحديث شعراً، وهذا كله مسجل في شعرهم، والأمثل علي ذلك كثيرة نذكر منها:

- **الأسلـــوب:**

لا شك أن عصر صدر الإسلام امتداد طبيعي للعصر الجاهلي، فالشعراء الذين نظموا الشعر في الإسلام هم أنفسهم أو بعضهم الذين نظموا الشعر في العصر الجاهلي ونقصد بهم المخضرمين من الشعراء.

ولكن الإسلام كان له أثره الفعال في تغيير طبيعتهم الشعرية وحياتهم الأدبية التي كانوا عليها في الجاهلية، وبخاصة بعد أن تمكن الإسلام وتعمق الإيمان في قلوب هؤلاء الشعراء، فجرت علي ألسنتهم ألفاظه وتأثرت عقولهم بمعانيه، فما كان إلا أن تحرر هؤلاء الشعراء أو أغلبهم من تقاليد الشعراء الجاهليين في النظم من حيث مخاطبة الأطلال في الشعر، كما هو الحال في مطلع قصائد امرئ القيس قفا نبك حيث يقول:

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل ∴ بسقط اللوى بين الدخول فحومل[1]

وقد دأب الشعراء الجاهليون علي تقليد امرئ القيس في مطالع قصائدهم.

وقد كان التطويل في القصيدة الجاهلية وتعدد أغراضها بذكر النسيب والتشبيب أو ذكر الدمن والديار والحديث عن آثار المحبوبة، ثم ذكر الناقة والراحلة والصحراء والمشاق التي يقابلها وصولاً إلي الممدوح مثلاً: سمة من سمات الشعر في العصر الجاهلي.

ولكن عندما جاء الإسلام تحرر الشعر من كثير من هذه القيود حيث كان الشعراء في الكثير من الأحيان يتخففون في نظمهم من الأوزان الطويلة ومن المطالع الغزلية أو التي كانوا أحياناً يستبدلونها بمقدمات دينية، وقد كانت مقدمة الشاعر الإسلامي عبد الله بن الأحمر في مقدمته هذه:

صحوت وودعت الصبا والغوانيا ∴ وقلت لأصحابي: أجيبوا المناديا

وقولوا له إذ قام يدعو إلي الهدى ∴ وقبل الدعاء: لبيك داعياً[2]

ويقول الدكتور/ يوسف خليف عن هذه المقدمة: "والشيء الذي نريد أن نسجله هو أن هذه المقدمة تعد شيئاً جديداً في الشعر العربي في ذلك الوقت"[3].

وهكذا لم تعد القصيدة متعددة الأغراض ولم يعد التطويل في القصيدة حسنة للشاعر، وإنما تخففت القصيدة من تعدد الأغراض ومن التطويل الممل، وقد يكون ذلك نتيجة لحياة الحروب والمنافرات التي لا يستطيع الشاعر معها أن يبدأ بمطالع تقليدية، ولا أن يعدد في الأغراض ولا غير ذلك مما تعارف عليه الشعراء في العصر الجاهلي.

---

(1) ديوان امرئ القيس: ص 8.
(2) مروج الذهب للمسعودي: ج3، ص 94.
(3) حياة الشعر في الكوفة إلي نهاية القرن الثاني الهجري، ص 382. للدكتور يوسف خليف.

وكثيراً ما كان يتطلب الأمر من الشاعر الإسلامي أن يرتجل قصيدته ارتجالاً كما هو الحال مع الشاعر حسان بن ثابت في قصيدته التي يقول فيها:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ∴ قد بينوا سننا للناس تتبع[1]

والتي ارتجلها ليجيب بها وفد بني تميم.

وإذا كانت القصيدة الإسلامية قد اختفت منها العناصر التقليدية أو كادت فقد ظهرت فيها أساليب جديدة لم تكن سائدة في الشعر الجاهلي كأسلوب الدعاء وأسلوب القسم.

- **الدعاء:**

من الأساليب الجديدة علي الشعر العربي في صدر الإسلام أسلوب الدعاء والابتهال والتضرع إلي الله – تبارك وتعالى – والتقرب إليه – سبحانه.

ولما كان الدعاء في الإسلام من أقوى أركان العبادة حيث حث عليه الله – سبحانه وتعالي – في قوله – تعالي: **"وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ"**[2]، وقوله – أيضاً، جل شأنه: **"وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ"**[3].

وجاء عن النبي – صلي الله عليه وسلم- قوله: " الدعاء مخ العبادة"، وقوله – صلي الله عليه وسلم - : "لا تجزعوا في الدعاء فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد".

وهناك الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض المؤمن علي الدعاء والتقرب إلي الله والاستعانة به عند المصائب والشدائد.

لذلك نجد الكثير من المسلمين ومنهم الشعراء يلجأون إلي الله

---

(1) ديوان حسان بن ثابت، ص 338.
(2) سورة غافر – الآية 60.
(3) سورة البقرة – الآية 186.

راجين منه – سبحانه – ستر العيوب ومغفرة الذنوب، وتفريج الكروب، وهم في دعائهم يتوبون إلي الله ويقرون بذنوبهم وآثامهم.

من ذلك قول النعمان بن بشير الأنصاري:

ربي إني ظلمت نفسي كثيراً ∴ فاعف عني أنت الغفور الودود

وقني شر من أخاف فأني ∴ مشفق خائف لما تستعيد

من خطوب إذا ذكرت ذنوبي ∴ وقرأت القرآن فيه الوعيد[1]

فالشاعر في هذه الأبيات يتضرع إلي الله – سبحانه وتعالي – أن يغفر ذنوبه فإنه هو الغفور الودود، بعد أن يقر بظلمه لنفسه لارتكابه الكثير من المعاصي والذنوب.

ويقول عمرو بن الجموح الأنصاري:

أتوب إلي الله سبحانه ∴ واستغفر الله من ناره

وأثني عليه بآلائه ∴ بإعلان قلبي وإسراره[2]

فالشاعر يعلن توبته إلي الله – سبحانه وتعالي – ويستعيذ بالله من ناره وعذابه، وبالثناء علي الله – سبحانه وتعالي – بآلائه ونعمه، ويعلن ذلك بقلبه ولسانه.

وهكذا نجد شعراء هذا العصر يلجأون دائماً إلي الله وهم مقرون بذنوبهم معلنين توبتهم وهذا الدعاء ممزوج بالإيمان وبمعاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وهذا يدل علي إيمانهم وتعلقهم بالله رب العالمين راجين منه التوبة والمغفرة.

- **القسم:**

من التعبيرات التي تميز شعر صدر الإسلام أسلوب القسم، فقد استخدم الشعراء جميع أساليب القسم التي ترجع كلها إلي لفظ الجلالة

---

(1) شعر النعمان بن بشير الأنصاري، تحقيق د / يحيي الجبوري – ص 92.
(2) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ج2، ص 523.

أوصفة من صفاته – تعالي.

آخذاً بتعاليم الإسلام بأن اليمين "القسم" لا ينعقد إلا بالله أو بصفة من صفاته – تعالي - ، **فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ.**

وقد تأثر الشعراء في صدر الإسلام في قسمهم وقولهم بأسلوب القرآن الكريم، ومن الأمثلة علي ذلك قول أبي صخر الهذلي:

أما والذي أبكي وأضحك والذي ∴ أمات وأحيا والذي أمره الأمر(1)

فقد تأثر الشاعر بقول الله – تعالي - : **" وأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا"**(2).

ويقول المتوكل الليثي:

لا والذي يهوي إلي بيته ∴ من كل فج محرم فأجل(3)

فالشاعر يتأثر بقوله تعالي: **"أذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ"**(4).

ويقول حسان بن ثابت:

أتهجوه ولست له بكفء ∴ فشركما لخيركما الفداء(5)

فهو متأثر بقوله تعالي: **"إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"**(6).

ويقول حسان – أيضاً – في رثاء الرسول– صلي الله عليه وسلم:

عزيز عليه أن يحيدوا عن الهوى ∴ حريص علي أن يستفهموا ويهتدوا(7)

فهو متأثر بقوله تعالي: **"عزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ"**(8).

(1) الأمالي للقالي، ج1، ص 147.
(2) سورة النجم – الآيتان 43، 44.
(3) شعر المتوكل الليثي، تحقيق د/ يحيي الجبوري، ص 239.
(4) سورة الحج – الآية 27.
(5) ديوان حسان.
(6) سورة سبأ – الآية 24.
(7) ديوان حسان.
(8) سورة التوبة – الآية 128.

ويقول عثمان– رضي الله عنه–:

من يفعل الحسنات الله يشكرها ∴ والشر بالشر عند الله مثلان

فهو متأثر بقوله – تعالي–: **"فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه"**[1].

وعندما تتطلب الدعوة الإسلامية القسم لتأكيد مفهوم إسلامي بقسم الشاعر علي ذلك لتأكيد ما يقول وتأييده.

ومن أمثلة ذلك قسم عبد الله بن عمر بن الخطاب علي نزول القرآن من عند الله وإرسال محمد – صلي الله عليه وسلم – فيقول:

وحق من أنزل الآيات في السور ∴ وأرسل المصطفي المبعوث من مضر[2]

ويقسم حميد بن ثور الهلالي مكرراً قسمه في رثائه للخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – فيقول:

إني ورب الهدايا في مشاعرها ∴ وحيث يقضي نذور الناس والنسك

ورب كل منيب بات مبتهلاً ∴ يتلو الكتاب اجتهاداً ليس يترك

لا أنكرن الذي أوليتني أبداً ∴ حتى أعد مع الهلكى إذا هلكوا[3]

- الألفـاظ:

عندما جاء الإسلام وآمن الكثير من الغرب ودخلوا في الإسلام توحدت لهجاتهم في لغة واحدة هي لغة القرآن الكريم، الذي هو دستور الحياة لكل من آمن بالله وشهد أن محمداً – صلي الله عليه وسلم – رسول الله وأهدي بهدى القرآن وبسنة النبي العدنان.

عند ذلك هجر العرب الكثير من الألفاظ التي كانوا يستعملونها قبل الإسلام ولا سيما الخشن منها.

---

(1) سورة الزلزلة – الآيتان 7، 8.
(2) فتوح الشام – ج2، ص 144.
(3) ديوان حميد بن نور الهلالي – تحقيق عبد العزيز الميمني، ص 114.

وجدت ألفاظ كثيرة لم تكن متداولة قبل ذلك في لغتهم منها كلمات الإيمان والقرآن والكفر والوحي والإسلام والنبوة والرسالة والجنة والنار والتقوى والجهاد والحلال والحرام، والزكاة والصلاة... وغير ذلك من الألفاظ التي وضعت لمعانيها في الدين الإسلامي ولم تكن مستخدمة قبل ذلك.

يقول ابن فارس "كانت العرب في جاهليتها علي إرث من إرث أبنائهم في لغاتهم وآدابهم ونساكهم وقرابينهم، فلما جاء الله – جل ثناؤه – بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلي مواضع أخري بزيادات زينت. وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعلي الآخر عن الأول "[1].

والذي ينبغي أن نعلمه أن الإسلام حينما بدأ ظهوره لم يؤمن به الناس جميعاً وإنما تسرب نور الإسلام إلي قلوب القلة القليلة من العرب الذين شرح الله صدورهم للإسلام فآمنوا به، واهتدوا بهداه ورددوا كلماته وألفاظه وظل الكثير من العرب ومنهم الشعراء يصدون قلوبهم عن رسول الله. وظل القرآن في آذانهم وقرأ وهو عليهم عمي سنوات عدة.

ولذلك نجد أن ألفاظ الإيمان والوحي والإسلام والنبوة وغيرها من الألفاظ الإسلامية لم تظهر في شعر الشعراء إلا بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ودخل الناس في دين الله أفواجاً وتمكنت لغة القرآن من قلوبهم وألسنتهم. فانتشرت بعد ذلك هذه الكلمات في شعرهم واستعمالاتهم.

ومن الأمثلة علي ذلك كلمة "المؤمنين" يذكرها حسان كثيراً في شعره حيث يقول:

رأيت خيار المؤمنين تواردوا ∴ شعوباً وقد خلفت فيمن يؤخر

(1) الصاحبي في فقه اللغة، ص 78.

وقوله:

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم ∴ إلي الموت ميمون النقيبة أزهر[1]

وردت كذلك كلمة "القرآن" ومترادفاتها كثيراً "الوحي – الكتاب المنزل" في شعر حسان حيث يقول:

جحدوا القرآن وكذبوا بمحمد ∴ والله يظهـر أمـر كـل رسول[2]

وقوله:

أعفة ذكرت في الوحي عفتهم ∴ لا يطيعـون ولا يرديهم الطمع

وقوله أيضاً:

منعنا بها خير البرية كلهـا ∴ إمامـاً ووقرنـا الكتـاب المنزلا

وتجد كلمة "الجنة" في قول حسان:

صلـي عليك الله فـي جنـة ∴ عاليـة مكرمـة الداخـل [3]

وتتردد كلمـة النبي والرسول: في شعر كعب بن مالـك حيـث يقول:

أري النبـي بـرأي صـدق ∴ وكـان الله يحـكم لا يجـور
وكان رسول الله قد قال أقبلوا ∴ فولوا وقالوا إنما أنـت ساحر [4]

كما تتردد كلمة الرسول والقرآن في شعر كعب بن زهير حيث يقول:

نبئت أن رسول الله أوعدنـي ∴ والعفـو عنـد رسـول الله مأمول
مهلاً هداك الله الذي أعطاك نافلة الـ ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل[5]

ويذكر كعب بن مالك كلمة "الكفر" في شعره حيث يقول:

---

(1) ديوان حسان – تحقيق د/ سيد حنفي، ص 223.
(2) السابق، ص 238، 284، 286.
(3) ديوان حسان، ص 221.
(4) ديوان كعب بن مالك، ص 203.
(5) ديوان كعب بن زهير، ص 6 – طبعة دار الكتب.

يزودوننا عن ديننا ونزودهم ∴ من الكفر والرحمن راء وسامع[1]

وجاءت – أيضاً – كلمة "النار" في شعر فاتك بن زيد حيث يقول:

إنهـا ردة تقـود إلـي النار ∴ فلا تولَعـن بقـال وقيـل[2]

كما نجد كلمات " التقوى، القيامة، الجهاد، الشهيد، المجد، الحلال والحرام.. " وغيرها من الكلمات تترد في كثير من شعر صدر الإسلام.

يقول الزبرقان بني بدر:

أردت بها التقوى ومجد حديثها ∴ إذا عصبة سامى قبيلي فخورها[3]

ويقول حسان:

وما فقـد الماضـون مثل محمـد ∴ ولا مثله حتى القيامة يفقد[4]

ويقول ذريح بن الحارث متحدثاً عن ابنه:

أبغي الحباب في الجهاد ولا أرى ∴ له شبهـاً ما دام لله ساجـد[5]

ويقول حسان في رثاء حمزة سيد الشهداء:

ما لشهيـد بيـن أرماحكـم ∴ شلـت يـدا وحشي مـن قاتل[6]

ويقول أبو زبيد الطائي في رثاء عثمان بن عفان:

حتى تنصلها في مسجد طهر ∴ على إمام هدى إن معشر جاروا[7]

---

(1) المصدر السابق، ص 203.
(2) الإصابة لابن حجر، ج3، ص 205.
(3) تاريخ الطبري، ج3، ص 305.
(4) ديوان حسان، ص 279.
(5) الإصابة لابن حجر، ج3، ص 241.
(6) ديوان حسان، ص 220.
(7) شعر أبي زيد الطائي، ص 64.

ويقول حسان:

فتكـــون أول مستحـــل حلاله ∴ ومحـــــرم لله كـــــل حـــــرام[1]

وهكذا نجد أن قد استخدمت في شعر صدر الإسلام كلمات كثيرة تحمل في باطنها معني الإسلام وأركانه وأصوله سواء علي طريق الحقيقة أو المجازة علماً بأن هذه الألفاظ والكلمات لم تكن مستخدمة بمثل هذه الصورة في شعر العصر الجاهلي.

وبذلك يكون استخدام هذه الكلمات والألفاظ سمة بارزة من سمات ذلك العصر.

- **التكرار في الألفاظ والمعاني:**

ذكرت آنفاً أن هناك الكثير من الألفاظ التي ظهرت في شعر صدر الإسلام وأصبحت سمة بارزة من سمات ذلك العصر وإلي جانب ذلك – أيضاً – فقد تميز العصر بالتكرار في الألفاظ والمعاني ومن الأمثلة علي ذلك قول حسان بن ثابت:

ومن خير حي يعلمون لسائل ∴ غياثاً وعان موثق في السلاسل

ومن خير حي يعلمون لجارهـم ∴ إذا اختارهم في الأمن أو في الزلازل[2]

فقد كرر الشاعر قوله: "ومن خير حي يعلمون" مرتين..

ويقول حسان – أيضاً – في رثاء النبي – صلي الله عليه وسلم –:

فبوركت مولوداً، وبوركـت ناشـئاً ∴ وبوركت عن الشيب إذا أنت أشيب

وبورك قبر أنت فيه، وبوركـت ∴ بــه ولــه لذلك يثـرب[3]

---

(1) ديوان حسان، ص 143.
(2) ديوان حسان، ص 167.
(3) المصدر السابق، ص21.

فقد كرر الشاعر كلمة "بورك" في البيتين السابقين خمس مرات.

ومن التكرار الذي يفيد التأكيد قول أنس بن زنيم الدؤلي يخاطب الرسول – صلي الله عليه وسلم –:

تعلم رسول الله أنك مدركي ∴ وأن وعيداً منك كالأخذ باليد

تعلم رسول الله أنك قادر ∴ على كل صرم متهمين ومنجد

تعلم بأن الركب ركب عويمر ∴ هم الكاذبون المخلفو كل موعد(1)

وتكرر لفظ "أبلغ" ، "مَن مبلغ " في مطلع القصائد للتهديد والوعيد. وبخاصة في الهجاء والنقائض لبعد المشتركين عنهم.

ولطبيعة الجدل والحجاج التي سيطرت علي شعراء تلك الفترة ومن ذلك أن بني جحش حينما هاجروا إلي المدينة. عدا أبو سفيان بن حرب علي دارهم في مكة فباعها فقال عبد الله بن جحش:

أبلغ أبا سفيان عن ∴ أمر عواقبه ندامة

دار ابن عمك بعتها ∴ تقضي بها عنك الغرامة(2)

وقد انتشرت بين الشعراء عبارات صلاة الله وسلامه علي المتوفى أو صلاة الملائكة والمؤمنين وسلامهم عليه. ومن ذلك قول أبي بكر الصديق في رثاء النبي – صلي الله عليه وسلم–:

فصلى المليك وصلى العبا ∴ د ورب البلاد علي أحمد(3)

ويقول كعب بن مالك في رثاء شهداء مؤتة:

صلى الله عليهم من فتية ∴ وسقى عظامهم الغمام المبلل(4)

ويقول حسان بن ثابت في رثاء شهداء الرجيع:

(1) السيرة لابن هشام، ج2، ص 424.
(2) سيرة ابن هشام، ج1، ص 50.
(3) طبقات ابن سعد، ج5، ص 219.
(4) ديوان كعب بن مالك، ص 167.

صلى الإله علي الذين تتابعوا ∴ يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا[1]

ويقول – أيضاً– في رثاء سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب:

صلى عليك الله في جنة ∴ عالية مكرمة الداخل[2]

وتقول صفية بنت عبد المطلب في رثاء النبي – صلي الله عليه وسلم–:

أفاطم صلى الله رب محمد ∴ علي جدث أمي بطيبة ثاوياً[3]

وقد كان الشعراء في تكرارهم لهذه الألفاظ وغيرها مما كان سائغاً في شعر صدر الإسلام متأثرين بالأسلوب الخطابي فقد كانت الخطابة هي عماد الدعوة الإسلامية وركن من أركانها المهمة، وكانوا متأثرين – أيضاً – بالأسلوب القرآني الذي اعتمد كثيراً علي التكرار من أجل التقرير والتأكيد حتى يرسخ المعاني في ذهن المستمع.

الصور والأخيلة:

لاشك في أن الشاعر دائماً يستمد صوره وأخيلته مما وقعت عليه عينه وسجلته ذاكراته.

والشاعر الجاهلي ابن بيئته فهو يستخلص صورته الشعرية من بيئته التي يعيش فيها، ولذلك جاء ت صوره منتزعة من البيئة الصحراوية التي يعيش فيها.

فلما كان العصر الإسلامي ونزل القرآن الكريم علي النبي – صلي الله عليه وسلم – وقرأه الشعراء كما قرأه غيرهم من المسلمين وتأثروا به لفظاً ومعنى وروحاً وعملاً، ولذلك نجد أنهم أخذوا كثيراً من صورهم وتشبيهاتهم منه، ومن ذلك فالرسول عندهم نور ورحمة.

---

(1) ديوان حسان بن ثابت، ص 173.
(2) ديوان حسان بن ثابت، ص 221.
(3) الاستيعاب، ج1، ص14.

يقول حسان بن ثابت:

وأرسله فـي الناس نـوراً ورحمـة ∴ فمن يرض ما يأتي من الأمر يهتد[1]

والرسول عندهم شهاب يتبعه النور.

يقول كعب بن مالك:

فينـا الرسول شهـاب ثـم يتبعه ∴ نور مضيء له فضل علي الشهب[2]

والقرآن الكريم عندهم كالمجرة. يقول شاعرهم:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهـدى ∴ ويتلـو كتابـا كالمجـرة نيراً[3]

وهذا هو النابغة الجعدي لا يجد خيراً من صور القرآن الكريم يستعير منها لتأكيد صفة من صفات الله – تعالي – وهي صفة القدرة حيث يقول:

الحمد لله لا شريك لـه ∴ من لـم يقلهـا فنفسـه ظلمـا

المولج الليل في النهار ∴ وفي الليل نهاراً يفرج الظلما[4]

وهذه الصورة قد استعارها الشاعر من صور القرآن الكريم فهي صورة من معني قوله تعالي: **"تولِجُ اللّيْلَ فِي النّهَارِ وَتُـولِجُ النّهَـارَ فِـي اللّيْلِ"**[5].

وهكذا نجد أن كثيراً من صور الشعراء في صدر الإسلام مستمدة من القرآن الكريم وممتزجة بروح الدين والإيمان، سالت علي ألسنة الشعراء شعراً معبراً بعد أن قرأها الشعراء في القرآن وحفظوها وعملوا بمضمونها.

ولكن الشعراء المسلمين لم يتناسوا الصور والأخيلة التي ألفوها

---

(1) ديوان حسان، ص205
(2) ديوان كعب بن مالك، ص 174.
(3) الاستيعاب، ج3، ص 552.
(4) عصر النابغة الجعدي، ص 133.
(5) سورة آل عمران، الآية 27.

في بيئاتهم وحياتهم، ولم تتعارض مع تعاليم دينهم، فظلوا يصورنها في شعر – أيضاً – بعد الإسلام.

وهذا العباس بن مرداس يريد أن يشبه راية المسلمين التي تخفق فوق الجيش الإسلامي، فلا يجد مشبهاً به لهذه الراية في السرعة والحركة إلا طرف السحابة الرقيقة فيقول:

صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا ∴ قراع الأعادى منهم والوقائع

أمام رسول الله يخفق فا ∴ لواء كخذروف السحابة لامع[1]

وبذلك أضاف الشعراء الصورة والأخيلة المنتزعة من الدين وروح الإسلام والأخيلة التي تعارفوا عليها وألفوها في بيئاتهم قبل الإسلام وبعده.

هذه هي بعض الخصائص الفنية للشعر في صدر الإسلام، أردت بها بيان ما اختص به شعراء صدر الإسلام من خصائص فنية ميزتهم عن شعراء العصر الجاهلي.

أثر القرآن الكريم فى اللغة وتطورها

إنه لشرف عظيم للغة العربية وللعرب جميعاً أن ينزل القرآن بلغتهم. قال تعالى: (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[2]. وقال جل شأنه: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[3]

فكان لنزول القرآن بلغة العرب، فضله العظيم وأثره القويم على لغتهم. " فالقرآن الكريم مفخرة للعرب فى لغتهم إذ لم يتح لأمة من الأمم كتاب مثله لا دينى ولا دنيوى من حيث البلاغة والتأثير فى النفوس

(1) سيرة ابن هشام، ج2، ص463.
(2) سورة فصلت : آية رقم 3.
(3) سورة الزخرف : آية رقم 3.

والقلوب".[1]

فقد أدخل القرآن الكثير من المعانى والألفاظ إلى اللغة العربية فكان دخولها العربية فتحاً جديداً ونصراً مبيناً وعاملاً من عوامل اتساعها وانتشارها حيث إنه: " حول العربية إلى لغة ذات دين سماوى باهر وبذلك أحل فيها معانى لم تكن تعرفها من قبله ولا كانت تعرف العبارة عنها وعادة يقف مؤرخو الأدب عند ألفاظ ابتدأها ابتداء مثل الفرقان، والكفر والإيمان والإشراك والإسلام ... وغير ذلك من كلمات الدين الحنيف."[2]

وسرعان ما تعامل الشعراء مع هذه الألفاظ الجديدة وضمنوها أشعارهم لتكون هذه الأشعار وسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية ، فهى اللغة التى يفهمها جُل العرب، ويؤثرونها لما لها من أثر عظيم فى نفوسهم وعقولهم.

ومما يؤيد ذلك ما كان من وفد بنى تميم الذى ضم الكثير من الخطباء والشعراء من مثل عطارد بن حاجب بن زرارة وقيس بن عاصم والأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر ... وغيرهم. وهم من هم فى الفصاحة والبلاغة. فقام إليهم خطباء النبى – صلى الله عليه وسلم – وكان فيهم ثابت بن قيس الخزرجى. وكان الزبرقان بن بدر من شعراء هذا الوفد ، فتصدى له حسان بن ثابت فلما فرغ حسان من قوله قال الأقرع بن حابس وأبى إن هذا الرجل لمؤتى له. لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا. فلما فرغ القوم أسلموا وجوزهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم- فأحسن

(1) تاريخ الأدب العربى " العصر الإسلامى" ، دكتور/ شوقى ضيف، ص 3. ، دار المعارف، الطبعة الثالثة عشرة.
(2) المرجع السابق، ص 32.

جوائزهم".[1]

وشعراء صدر الإسلام لهم فضل السبق فى التأثر بالقرآن الكريم وذلك لأنهم عاشوا فى ظل القرآن يستمدون منه كثيراً من صورهم وألفاظهم وأفكارهم فتفتحت قرائحهم وتبصرت عقولهم على أسلوب من النثر الفنى لم يعهدوه من قبل. وهذا الأسلوب البالغ الروعة الذى ليس له سابقة ولا لاحقة فى العربية هو الذى أقام عمود الأدب العربى منذ ظهوره[2].

ولذلك نجدهم "يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار"[3].

ولذلك كان من البديهى أن يستكين العرب حين سماعهم آية من القرآن الكريم فتصفوا وجوههم لربهم ويقفوا مبهورين أمام روعة القرآن وبلاغته. فيقتبسوا كثيراً من آياته ويضمنوها أشعارهم دون تغيير أو تبديل، وأحياناً تدفعهم ضرورة تركيب الجمل أو اتساق الوزن وانسجام القافية إلى إدخال بعض التحوير والتغيير فيما اقتبسوه من آيات القرآن الكريم، وقد انعكس ذلك على لغة شعرهم فصبغت بصبغة قرآنية واضحة فأثر هذا الكتاب العظيم آثاراً كثيرة فى اللغة العربية فحول أدبها مما كان عليه فى الجاهلية إلى ما صار إليه فى الإسلام. لأن الشعر فى أى أمة من الأمم يظل خاضعاً لتطور حياتها فى جميع أنواع الحياة، لأنها هى التى تحدد مجراه ومساره واتجاهاته وهى التى تفرض عليه ما

---

(1) راجع شرح ديوان حسان بن ثابت ، عبد الرحمن البرقوقي ، ص 299: 308. دار الأندلس للطباعة والنشر- بيروت، 1980.
(2) تاريخ الأدب العربي " العصر الإسلامي" دكتور/ شوقى ضيف ص 34.
(3) البيان والتبيين ، تأليف أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ جـ1/118 تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

تشاء من التغيرات فينتقل من طور إلى طور وتتبدل موضوعاته وصوره وألفاظه وأساليبه وتتغير فيه معان جديدة لم تكن موجودة وتغلب عليه صياغة لم تكن مألوفة[1].

ولذلك يمكننا أن نقول بأن: القرآن الكريم هو الأصل الأول فى التأثير على أساليب اللغة وعباراتها حيث يُعد تأثيره امتداداً لإعجازه فى الجانب الإيمانى.

ومن الحق والإنصاف أن نرجع الكثير مما اكتسبته لغتنا العربية فى شتى العلوم والمعارف الإنسانية لأثر القرآن الكريم.

قال تعالى : (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)[2]

والشعراء المسلمون الذين عاشوا الدعوة الإسلامية وعاصروها فى عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – نلاحظ عليهم تغير ألفاظهم ومعانيهم الشعرية وتطور معجمهم الشعرى واللغوى إلى طور جديد لم يألفوه من قبل فأقبلوا على استخدام ألفاظ ذات دلالات جديدة لم تكن موجودة ولا متداولة فى العصر الجاهلى. فهناك الكثير من الألفاظ التى لم يكن لهم عهد بها كالصلاة والإيمان والشرك والإسلام والجنة والنار... وغيرها.

وكذلك هناك الكثير من الألفاظ التى لوحظ تطور دلالاتها فانتقل كل منها من دلالته الأولى التى كان عليها إلى دلالة أخرى جديدة. ومن هذه الألفاظ لفظ الجلالة " الله " فقد ورد فى الشعر

(1) اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى ، الدكتور/ محمد مصطفى هدارة، ص 23. طبعة دار المعارف، سنة 1963م.
(2) سورة الزمر: آية رقم 23.

الجاهلى وذلك لأنهم كانوا يعرفون المصطلح كما يعرفه أصحاب ديانات التوحيد. ولكنهم يختلفون عنهم فى إدراك ماهيته. وعادة الشعراء الجاهليين أن يذكروا أحد اللفظين "الله" – أو "المليك ".

أما الشعراء الذين أسلموا فقد فطنوا إلى قيمة هذه الألفاظ فذكروها فى أشعارهم. يقول حسان بن ثابت :

فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا ∴ ولا تلبسوا زياً كزى الأعاجم(1)

فالشاعر هنا يدعو قومه إلى الإسلام وأن يخلصوا التوحيد لله ولا يشركوا به أحداً ولا يتخذوا من دونه أنداداً ودلالة هذه الألفاظ وإيماءاتها مأخوذة من قوله تعالى : **(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعلمونَ)**(2)
ويقول حمزة بن عبد المطلب :

حمدت الله حين هدى فؤادى ∴ إلى الإسلام والدين الحنيف(3)

فسيدنا حمزة سيد الشهداء – رضى الله عنه – يثنى على الله سبحانه وتعالى حين هدى قلبه إلى الإسلام والدين الحنيف. وقد استمد الشاعر معانى هذا البيت من قوله تعالى :

(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّه)(4)
ويقول النابغة الجعدي :

الحمد لله لا شريك له ∴ من لم يقلها فنفسه ظلما(5)

فالنابغة الجعدي يحمد الله سبحانه وتعالى ويثنى عليه، فهو وحده الذى يستحق الحمد والثناء. فلا معبود بحق سواه ولا رب غيره.

---

(1) شرح ديوان حسان بن ثابت لعبد الرحمن البرقوقي ص 440.
(2) سورة البقرة: آية رقم 22.
(3) الروض الآنف فى تفسير السيرة لابن هشام جـ151/3 مكتبة الكليات الأزهرية، سنة 1971م.
(4) سورة الأعراف: آية رقم 43.
(5) شعر النابغة الجعدي، ص 132.

فالعبد الذى لا يثنى على الله بما هو أهله فقد ظلم نفسه.
والشاعر هنا يستمد ألفاظه ومعانيه من قوله تعالى:

(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً)(1)

وقد استخدم النابغة الجعدي هذه اللفظة "الله" فجعلها خاصة فى ذات الله سبحانه وتعالى، وبهذا يتغير مدلولها عما كانت سائدة عليه فى الجاهلية.

ومن الموضوعات التى نلمسها أيضاً فى لغة الشعراء وأساليبهم؛ تداولهم للتعبيرات الإسلامية التى إن دلت على شيء فإنما تدل على ما انطوت عليه نفوسهم من حب عميق لروح الجماعة الإسلامية التى ينتمون إليها. فالشاعر تتحد مشاعره بمشاعرها ، فهو المتحدث باسمها والمعبر عن رأيها.

ونلاحظ أن الصورة الفنية فى أشعارهم وحدة واحدة، وهى ما أطلق عليه النقاد وحدة القصيدة. هذه الوحدة تربطها وحدة أعمق منها وهى وحدة العقيدة والدين، "فالتعبير اللغوى من الممكن أن يكشف سلوك الفرد تجاه الجماعة، فالإنسان عندما يتحدث عن اتجاهه نحو الهدف المشترك أو العقيدة المشتركة لا يقول "أنا" ولكن يقول "نحن" . وهذا الضمير يكشف عن حقيقة دينامية ليست مجرد أنوات مستقلة ولكنها كل واحد".(2)

يقول حسان بن ثابت :

دعوا فلجات الشام قد حال دونها .·. جلاد كأفواه المخــــــاض الأوارك

---

(1) سورة الإسراء : آية رقم 111.
(2) الأسس النفسية للإبداع الفنى فى الشعر خاصة للدكتور/ مصطفى سويف، ص 123. طبعة دار المعارف. الطبعة الرابعة سنة 1981م.

بأيدى رجال هاجروا نحو ربهـــم .·. وأنصاره حقاً وأيدى الملائـــك[1]

فعندما ننظر إلى هذين البيتين يتضح لنا أن حسان بن ثابت قد استخدم صيغاً تدل على روح الجماعة الإسلامية.

فالهجر ضد الوصل. والاسم منه الهجرة، ويقصد به الخروج من أرض إلى أرض، والمهاجرون الذين هاجروا مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – مشتق منه. وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوى من باديته إلى المدن. يقال هاجر الرجل إذا فعل ذلك. وكذلك كل مخل بمسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناه، فقد هاجر قومه. ويسمى المهاجرون، مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التى نشأوا بها لله سبحانه وتعالى.

والهجرة كما قال ابن الأثير: هجرتان، إحداها التى وعد الله عليها الجنة فى قوله تعالى : (**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**)[2]

وكان الرجل يأتى النبى – صلى الله عليه وسلم – ويدع أهله وماله. ولا يرجع فى شىء منه وينقطع بنفسه إلى مهاجره.

والهجرة الثانية – من هاجر من الأعراب وغزا مع المسلمين ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى، فهو مهاجر. وليس بداخل فى فضل من هاجر تلك الهجرة.[3]

يقول عاصم بن عمرو التميمى:

لعمرى وما عمرى على بهين .·. لقد صبحت بالخزى أهل النمارق

---

(1) شرح ديوان حسان بن ثابت لعبد الرحمن البرقوقي ، ص 35. : 351.
(2) سورة التوبة: آية رقم 111.
(3) لسان العرب لابن منظور، مادة "هجر" ، دار المعارف.

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم .·.يجوسونهم ما بين درتا وبارق(1)

فعندما ننظر إلى البيتين السابقين، يتضح لنا أمر هذا التغيير الذى اكتسبه الشعراء من الحياة الإسلامية الجديدة. فبعد أن كان لفظ الهجرة قبل الإسلام يقصد به انتقال البدوى من مكان إلى مكان حسب ما تمليه عليه طبيعة الحياة الجاهلية، ابتغاء الكلأ والعشب أصبح يعنى الهجرة فى سبيل طاعة الله ورسوله. وهذا التطور الدلالى للفظ الهجرة إنما تغير بفضل الإسلام وتمسك الناس بالقرآن الكريم.

ونود أن نختم حديثنا عن أثر القرآن الكريم فى اللغة ببيان أن ذلك النص الأدبى الرفيع والنمط الفريد الذى ليس هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إنما هو كلام رب العالمين. قد جاءت آياته على نسق خاص من التصوير الأدبى فلم تخرج آياته فى تصويرها وتعبيرها وبنائها اللغوى عن حروف المعجم العربى ، ولكنها خرجت بهذا التصوير والبناء اللغوى الدقيق عن مقدور البشر على الرغم من أنها اتخذت أدواتها الأولى من نفس المادة التى اتخذت منها العربية طرائق تعبيرها. فالفرق شاسع بين تصوير يصدر عن نفس بشرية يعتريها القصور والنقصان فتعجز عن بلوغ الكمال وبين تصوير صادق معبر صادر عن إله حكيم عليم.

ومن ثم كان أثر القرآن الكريم جلياً واضحاً فى لغتنا العربية وفى تطور دلالة ألفاظها وفى إضافة الكثير إليها من المعانى والأفكار التى لا عهد للغة بها. ولذلك وضع الشعراء فى صدر الإسلام الصورة الأدبية القرآنية نصب أعينهم فجعلوا من القرآن معينهم الفياض الذى لا ينضب ولا يجف، محاولين محاكاته فى أسلوبه وبيانه والأخذ من

---

(1) تاريخ الطبرى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم جـ45/3. ، طبعة دار المعارف بمصر، معجم البلدان لياقوت جـ129/5 ، طبعة دار صادر بيروت.

ألفاظه وعباراته وصيغه وتضمينها أشعارهم ووسائل بيانهم ، وقد بدأ ذلك واضحاً فى كل ما صدر عنهم.

أثر القرآن الكريم فى النص الأدبى

نستطيع أن نقول: إن هناك علاقة قوية بين النص الأدبى وبين القرآن الكريم وهى تلك العلاقة التى بين القرآن واللغة العربية. فمما لا شك فيه أن النص الأدبى فى اللغة العربية ، قد كتب له البقاء والاستمرار، وذلك لارتباطه الوثيق بأول كتاب دون تاريخ العرب، وشكل المظهر الأساسى للحياة العربية فى شتى نواحيها العقلية والفكرية .... وغيرها. وذلك الكتاب العظيم هو القرآن الكريم، فقد جمع القرآن شتات اللهجات العربية التى كانت منتشرة فى الجاهلية ووحدها فى لغة واحدة قرشية الأصول قرآنية الانتماء والاستمرار.

ولولا حفظ الله سبحانه وتعالى للقرآن الكريم وجهود المخلصين من العلماء المسلمين فى سبيل تأكيد هذه العناية والحفظ لاندثر النص الأدبى القديم ضمن اندثار اللغة العربية نفسها على نحو ما فعلته الأيام والسنون بشقيقاتها من اللغات الأخرى.

فالقرآن هو الذى أثرى معجم اللغة العربية، التى هى وسيلة التعبير الأدبى بالألفاظ الإسلامية المهذبة من حوشى الكلام وفاحشه، وكذلك أذاع أساليب البيان والبلاغة ونأى بها عن كل عوج وانحلال.

ومن ثم كان انتشار النص الأدبى جنباً إلى جنب مع انتشار القرآن الكريم " الذى هو أعظم نص أدبى عرفته البشرية " حيث حط الإسلام رحاله ونشر نوره ورمى لدولته أطرافاً بعيدة عن جزيرة العرب التى هى موطن النص الأدبى ومبعثه الأول فكان انتشاره بانتشار الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها.

ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ، وكان معظم الداخلين الجدد

فى الإسلام من غير القبائل العربية ولكنهم ارتبطوا بلغة القرآن وجعلوها مقياس الفصاحة والبيان ، ومن ثم تخطوا بذلك القرشيين وغيرهم من القبائل العربية. ومما يؤيد ذلك ما دار بين أهل مكة ومحمد بن المناذر الشاعر فقد قال أهل مكة لمحمد بن المناذر : "ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة، إنما الفصاحة لنا أهل مكة.

فقال ابن المناذر : أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن وأكثرها له موافقة. فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم. أنت تسمون القدر بُرْمة وتجمعون البرمة على برام، ونحن نقول قدر ونجمعها على قدور. وقال الله عز وجل : **وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ** " . وأنتم تسمون البيت فوق البيت عُلِّيَّة وتجمعون هذا الاسم على علاليّ. ونحن نسميه غرفة ونجمعها على غُرفات وغرف. وقال الله تبارك وتعالى: " **غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ**. وقال أيضاً : **وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ**"[1].

وقد بلغ من فتنة العرب وإعجابهم بالقرآن الكريم أنهم استلهموا معانيه وأساليبه وصوره فى سائر أعمالهم الأدبية – الشعرية منها والنثرية على حد سواء.

وإذا تتبعنا شعر أى شاعر من شعراء الإسلام لوجدنا تكاثر الآثار القرآنية بصورة كبيرة فى أشعارهم. وقد بلغ من فتنة العرب بأسلوب القرآن الكريم أنهم صاروا ينقدون أى خطيب لا يضمن خطبته شيئاً من القرآن ويعتبرون ذلك عدم توفيق إلى طريق الكمال فى الأداء البيانى، يدلنا على ذلك ما يراه الجاحظ من أن اشتمال الخطبة على آى القرآن يضمن لها البهاء والوقار والرقة وسلس الموقع. فيحكى فى كتابه " البيان والتبيين " قصة انتقاد عمران بن حطان ، لعدم اشتمال خطبته

---

(1) البيان والتبيين للجاحظ جـ18/1 :19، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

عند ابن زياد على شىء من القرآن يضىء مقاطعها ويدفع بها إلى ميدان البيان .

" قال الهيثم بن عدى : قال عمران بن حطان ... (إن أول خطبة خطبتها عند زياد أو عند ابن زياد – فأعجب بها الناس، وشهدها عمىّ وأبىّ ثم إنى مررت ببعض المجالس، فسمعت رجلاً يقول لبعضهم : هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شىء من القرآن "[1].

وهنا يحاول الجاحظ أن ينسب الرأى القائل باشتمال الخطبة على القرآن الكريم إلى خطباء السلف وأهل البيان من التابعين ، فهم الذين يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن ، وكذلك هم الذين يطلقون على الخطبة التى لم توشح بالقرآن بأنها خطبة شوهاء.

ولا شك أن هذا الموقف الذى يمثل رأيا عاماً فى ذلك الوقت يشير إلى مدى التقدير والإعجاب الذى لقيه النص القرآنى حينئذ.

ويدلنا كذلك على أن الأمر لم يَعد فى نطاق ضيق وإنما خرج من دائرة المبدعين للنصوص الأدبية ، وتعداهم إلى دائرة المتذوقين لتلك النصوص. وإذا امتد بنا القول لعصرنا الحالى فراجعنا شعر هذا العصر وخطبه ورسائله لن نجد نصاً أدبياً انفلت من سيطرة لغة القرآن الكريم بأساليبها البيانية الرائعة ومضامينها المعنوية القوية سواء كان ما لحق النص الأدبى من تأثير مباشر أو غير مباشر. ولعل هذا هو السر الذى نحس بسببه فرقاً واضحاً بين نص جاهلى وآخر إسلامى.

فالإسلام ودستوره القرآن الكريم هو الذى تمخض عن منهج سياسى وأدبى واجتماعى. نقل العرب نقلة كبيرة من الفردية والقبلية إلى

---

(1) البيان والتبيين للجاحظ، جـ1/ 118.

الأمة والشورى والكفاءة والعدالة التى لا مثيل لها من قبل، ومن ثم كان للأمة العربية ذلك المنهج الفنى الأدبى الذى نقل الأدب العربى من التفكك فى الأسلوب وغليظ اللفظ وحوشى الكلم إلى الأسلوب التصويرى المسترسل، وإلى لغة القرآن صاحبة الافتتان البيانى الذى لم يكن للعربية عهد به من قبل.

ومن ثم تتضح لنا تلك العلاقة الوثيقة بين القرآن الكريم والنص الأدبى الذى تأثر تأثراً كبيراً بمنهج القرآن وذلك نتيجة حتمية لحفظ المسلمين للقرآن وتمثلهم له ألفاظاً ومضامين والتماسهم الهداية فى الاقتداء به هداية غير محصورة أو مقصورة على ميدان التشريع والتوجيه الدينى فقط، وإنما كانت هداية فى شتى المجالات ومنها طريقة تأليف النثر الفنى وإبداع النص الشعرى.



أثر القرآن الكريم فى شعر حسان

لقد كان لقراءة حسان بن ثابت وحفظه للقرآن الكريم وملازمته للرسول- صلى الله عليه وسلم – ودفاعه الدائم بشعره عن الإسلام والمسلمين ضد كفار قريش وغيرهم من المشركين ، أثره الواضح فى شعره.

فالذى يتأمل شعره الإسلامى يجد أنه فى الكثير من قصائده التى قالها دفاعاً عن الإسلام متأثراً بالقرآن الكريم فى صوره الشعرية وبنائه اللغوى والفكرى، وغير ذلك مما جاء فى شعره.

لقد تمكن القرآن بروعة بيانه وعذوبة ألفاظه وقوة معانيه وسلامة أفكاره من كيان حسان ووجدانه، فارتقى بحسه وشعوره. مما جعله ينهل من خضمه البيانى المعجز الذى لا يحيط به إنسى ولا جان،

مهما أوتى من حكمة وبيان، فاقتبس حسان من بيان القرآن مما جعل أساليبه ترقى وأفكاره تتضح وتسمو وآفاقه تتسع. فجاءت ألفاظه سهلة ممتعة قوية الأداء، عظيمة المدلول وأفكاره ومعانيه قيمة سامية، وأسلوبه قوى التصوير، مما يترك أثره العميق فى النفس.

وهذا الذى سوف نتناوله فى الصفحات التالية، فإنما هو بيان لمظاهر القرآن الكريم فى شعر حسان من ناحية:

1- الصورة الشعرية.

2- البناء اللغوى.

3- البناء الفكرى.

1 ـ الصورة الشعرية:

مما لا شك فيه أن الشاعر يستمد صوره وأخيلته مما وقعت عليه عينه وسجلته ذاكرته، فالشاعر هو ابن بيئته، ولذلك فهو يستخلص صوره الشعرية وأخيلته من بيئته التى يعيش فيها.

ويشكل الخيال فى الأعمال الأدبية بصورة عامة، الجانب الفنى الذى تبرز من خلاله عملية الخلق والإبداع الفنى. "فيبدو فى صوره العديدة من التشبيه والمجاز والاستعارة وحسن التعليل"[1].

فهذه اللوحات الفنية وما تحويه من الصور النابضة بالحياة إنما هى فى الواقع صور يستمدها الأديب من مخزون الذاكرة التى يحتفظ بها العقل. فتظل عالقة فى ذهنه حتى يحين قطافها عندما يغمس الأديب ريشته فى اللغة فيتحكم فى ألوان الكلمات – وفى تجسيد الصورة وتحريكها فى عمل فنى متناسق حيث إن الخيال "هو الملكة التى يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم، وهم لا يؤلفونها من الهواء، إنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لا حصر لها، تختزنها عقولهم وتظل

---

[1] دراسات في النقد الأدبي، دكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى ص 70، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى.

كامنة فى مخيلتهم، حتى يحين الوقت، فيؤلفوا منها الصورة التى يريدونها، صورة تصبح لهم لأنها من عملهم وخلقهم . والخيال عند الأدباء يقوم على شيئين: دعوة المحسات والمدركات، ثم بناؤها من جديد"[1].

فالصورة بطبيعة الحال وليدة الخيال الذى يساعد الشعراء على تصوير عاطفتهم الفياضة وإيمانهم الصادق. وهذا الوضوح ميزة كافية ترقى بالشعر عندهم مما أضفى على شعرهم الوضوح والبساطة والبعد عن التعقيد. ومما لا شك فيه أن تأثرهم بلغة القرآن الكريم وأساليبه أبعدهم عن الغموض ومتاهات الخيال.

فالصورة الفنية هى الوشيجة العضوية فى بناء القصيدة العربية، فهى إذن " قديمة قدم الشاعر "[2].

والصورة الشعرية التى نلاحظها فى شعر حسان بن ثابت تواكب هذا التطور الملموس الذى دفعه الإسلام دفعاً قوياً فتأثر بدلالات الألفاظ القرآنية وبخصائص النسق الفنى والجمالى لألفاظه ومعانيه، التى فاضت بالألوان البديعة المبتكرة فى التعبير عن موضوعات متعددة تجاوزت فى معظمها الحياة المحسوسة فى الدنيا إلى قضايا الدين ووسائل الروح والغيبيات ومعضلات النفس فى الآخرة.

فقد كان للجو النفسى الذى عاش فيه الشاعر بعد إسلامه أثره الواضح فى انطلاقه وخياله وتكوين صورته الشعرية. ويتضح لنا ذلك من خلال شعره الذى تأثر فيه بالقرآن الكريم حيث يقول :

فلما أتانا رسول المليك (م) بالنور والحق بعد الظُّلم
وقلنا صدقت رسول المليك ⁂ هلم إلينا وفينا أقم

---

[1] فى النقد الأدبى ، دكتور/ شوقى ضيف ص 167، دار المعارف، سنة 1962م، الطبعة السابعة.

[2] الصورة والبناء الشعرى ، دكتور/ محمد حسن عبد الله ص 27 ، طبعة دار المعارف، سنة 1981م.

فنشـهد أنـك عنـد المليـك (م) أرُسلت حقاً بدين قيم[1]

فالمتأمل فى الأبيات السابقة يجد أن الشـاعر قـد رسـم لنـا صـورة شعرية صور فيها حالهم قبل أن يأتى الرسول صلى الله عليـه وسـلم بـالنور والحق حيـث كـانوا يعيشـون فـى ظـلام دامس، فبـدد نـور الإسـلام ذلـك الظـلام، ويتعلـق محو تلك الصـورة المظلمـة ببعثـة رسـول الله – صـلى الله عليه وسـلم – الذى جاءهم بـالحق وأخـرجهم مـن ظلمـات الجهـل والضـلال إلى نور العلم والإيمان، ثم آمنوا بـه وصـدقوه، وأقـام فيهم وممـا يـدل عل مكانـة رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – عنـدهم، مـا نجـده فـى الضـمير " نـا " فـى قولـه " فينـا " وهـم يشـهدون بأنـه عبـد الله ورسـوله، جاءهم بدين جديد قيم ، أى مستقيم ليس فيه اعوجاج.

فالشاعر هنا متأثر بألفاظ القرآن الكريم ومعانيـه، فهـو يقتبس معانى البيت الأول من قوله تعالى : (**الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**)[2] .

وأما البيت الثالث فهو مقتبس من قوله تعالى: (**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ**)[3]

إن النـور والضـياء لهمـا مكانـة كبيرة وأهميـة عظيمـة فـى حيـاة العربـى، لأنـه يشـعر دائمـاً فـى بيئتـه برهبـة الظـلام وقسـوته. وقـد وظـف الشاعر ذلك فى صوره الشعرية أصدق توظيف، حيث يقول:

فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً ∴ يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنــذرنا نــاراً وبشــر جنــة ∴ وعلمنا الإسلام فالله نحمد[4]

---

(1) شرح ديوان حسان ، لعبد الرحمن البرقوقي ص 431.
(2) سورة إبراهيم : الآية رقم 1.
(3) سورة المائدة آية رقم 15.
(4) شرح ديوان حسان ص 135.

فعندما ننظر إلى هذين البيتين نجد أن الشاعر يشير إلى بعثة الرسول – صلى الله عليه وسلم – الذى أرسله ربه كالسراج المنير. فهو يهديهم إلى طريق النور والنجاة، فقد جاء بعد فترة من الرسل ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وليعلمهم تعاليم الإسلام السمحة، ولينجيهم من عذاب النار ويبشرهم بالجنة. وهكذا نجد أن الشاعر قد انطلق بخياله فجاء بتلك الصورة البديعة التى استقى مادتها من قول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً)[1]

وقوله سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ)[2]

والشاعر هنا قد شبه الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالسراج أو بالشمس، لأن من معانى السراج: الشمس. " وجعلناه سراجاً وهاجاً " وكما أن الشمس أو السراج تبدد الظلام. فإن الرسول جاء ليخرج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام وضيائه، فإن كان السراج قد بدد الظلام المادى – فإن الرسول بدد الظلام الروحى الذى كان يسيطر على الدنيا قبل بعثته – صلى الله عليه وسلم – . وقوله " يلوح " فى الشطر الثانى من البيت، أى يلمع ويبرق كلمعان السيف الصقيل. دلالة على نور الإسلام وضيائه. وقوة بريقه ولمعانه. التى بددت ظلمات الجاهلية.

أما البيت الثانى، فإنه يحمل لنا صورتين متضادتين. وهما صورة النذير وصورة البشير. " وأنذرنا ناراً وبشر جنة ".

فالإنذار والتحذير، مما يخاف منه، والمنذر المخوف المحذر. " وبشر جنة " تقول: بشره، وأبشره، فبشر به – فرح به، والبشارة

---

[1] سورة الأحزاب: الآيات رقم 45 : 47.
[2] سورة فصلت: الآية رقم 30.

المطلقة لا تكون إلا فى الخير. وإنما تكون بالشر، إذا كانت مقيدة كقوله تعالى :" فبشرهم بعذاب أليم" والبشير والنذير هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ويقول حسان :

وقال الله قد أرسلت عبداً ∴ يقول الحق ليس به خفاء
شهدت به فقوموا صدقوه ∴ فقلتم لا نقوم ولا نشاء[1]

فالشاعر فى البيتين السابقين : يرسم لنا صورة شعرية وذلك عندما يصنع موازنة بينه وبين أئمة الكفر والشرك.

فهو قد آمن برسول الله وصدق دعوته. فى حين أن هؤلاء الكفار والمشركين لم يصدقوه، ولم يؤمنوا به. ولذلك فإنه يلقى اللوم عليهم لإعراضهم عن دين الله وتمسكهم بأوثانهم وعدم إيمانهم بالرسول الذى بعثه الله بالحق والهدى.

وقد استمد الشاعر ذلك كله من دلالات الألفاظ القرآنية التى تتحدث عن مصير هؤلاء الكافرين، حيث يقول الله تبارك وتعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً*إلا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً)[2]

ويقول حسان :

مستعصمين بحبل غير منجذم ∴ مستحكم من حبال الله ممدود[3]

إننا حين نتأمل هذا البيت نجد أن الشاعر قد جاء بصورة شعرية، ألا وهى تلك الصورة التى أحدثها لفظ "حبل" . فالذين دخلوا فى الإسلام وآمنوا بالله عصمهم ذلك الإيمان. فهو بمثابة الحبل المتين المستحكم غير مقطوع حيث خرج باللفظ من معناه الحقيقى ودلالته

---

(1) شرح ديوان حسان ص 62.
(2) سورة النساء : الآيات 167: 169.
(3) شرح ديوان حسان ص 136.

اللفظية التى يراد بها " الرسن أو الرباط أو العهد أو الذمة .."[1] إلى معنى آخر "مجازى" بسبب إضافته إلى لفظ الجلالة: حبل الله " فهل كانت مثل هذه الإضافة موجودة قبل نزول القرآن الكريم؟

مما لا شك فيه أن العرب قبل نزول القرآن الكريم لم تكن تعرف لفظ الجلالة بمعنى التوحيد، وإنما اكتسبوه بفضل القرآن الكريم. فلا نجد فى شعر حسان الجاهلى هذه الدلالة الجديدة للفظ "الحبل".

والشاعر هنا متأثر بقوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ...)[2].

والبيت كناية عن تماسك المؤمنين ووحدتهم وعدم تفرقهم، وذلك للرباط المعنوى الذى يربطهم ويوحد بينهم، وهو رباط الدين، وقد أفاد الشاعر من هذا التركيب اللغوى القرآنى "حبل الله" فى أن يخرج لفظ الحبل من معناه الحقيقى إلى المعنى المجازى وذلك عندما أضافه إلى لفظ الجلالة.

ولا شك أن المجاز أبلغ أثراً فى النفس من الحقيقة.

ويقول حسان:

أموالنا ونفوسنا من دونه ∴ من يصطنع خيراً يثب ويحمد
فتيان صدق كالليوث مساعر ∴ من يلقهم يوم الهياج يعرد[3]

الشاعر فى البيت الأول يرسم لنا صورة لهؤلاء الذين يجعلون أموالهم وأنفسهم دون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وذلك كناية عن حبهم الشديد له وتقديرهم لمكانته بينهم، فهم يقدمونه على أموالهم

---

(1) لسان العرب لابن منظور، مادة "حبل"، دار المعارف.
(2) سورة آل عمران: الآية رقم 103.
(3) شرح ديوان حسان ص 207.

وأنفسهم.

ومثل هذه الصورة قد لا تجدها إلا عند المسلمين، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – أحب إليهم من أموالهم وأنفسهم، فهم يقدمون رسولهم على أموالهم وأنفسهم. ومن ثمَّ نجد الشاعر فى البيت الثانى يصفهم بالصدق ويشبههم بالأسود فى المعارك.

وفى قوله "مساعر" فى الشطر الأول من البيت يصفهم بالمبالغة فى الحرب والنجدة . ومساعر جمع مسعر ، تقول رجل مسعر فى الحرب إذا كان يؤرثها " يوقدها" أى تحمى به الحرب.

وكلمة "من يلقهم يوم الهياج يعرد" الشطر الثانى من البيت كناية عن فرار أعدائهم وهزيمتهم. نقول عرد الرجل عن قوته إذا أحجم ونكل، والتعريد : الفرار.[1]

ولقد تعددت صور القرآن الكريم فى شعر حسان بن ثابت فهو الوحى، وهو كتاب الله، وهو محكم الآيات. وهو الكتاب المنزل وغيرها من الصور التى توضح ماهية القرآن الكريم.

ويتضح لنا ذلك فى الكثير من أشعاره، حيث يقول:

أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم ∴ لا يطبعون ولا يرديهم الطمع[2]

ويقول :

نبى يرى مالا يرى الناس حوله ∴ ويتلو كتاب الله فى كل مسجد[3]

ويقول :

وقلتمُ لن نرى والله مبصركم ∴ وفيكم محكم الآيات والقيل[4]

ويقول :

---

[1] راجع فى ذلك لسان العرب مادة : " سعر – عرد".

[2] شرح ديوان حسان ص 205.

[3] المصدر السابق ص 144.

[4] نفسه، ص 375.

نصرنا بها خير البرية كلها .·. إماماً ووقرنا الكتاب المنزلا[1]

فإننا حين نتأمل البيت الأول نجد أن الشاعر قد استقى صورته من قوله تعالى:(قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ)[2]

وأما عن الأعفة الذين ذكرهم الله فى كتابه العزيز فهم الفقراء المحتاجون الذين قال الله فيهم : (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)[3].

وأما فى البيت الثانى، فنجد أن الشاعر جعل القرآن الكريم هو كتاب الله الذى يتلوه نبيه– صلى الله عليه وسلم- وقد استمد الشاعر صورته من قوله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ)[4].

وكذلك نجد أن الشاعر فى البيت الثالث استقى صورته من قوله تعالى:(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ...)[5]

وهكذا توالت صورة القرآن الكريم فى شعر حسان بن ثابت، تلك الصورة التى من خلالها يتضح لنا كيف ارتقت الصياغة الفنية عند الشاعر بصوره الشعرية التى لم يكن له عهد بها قبل ذلك. فمثل هذه الصياغة لم تكن موجودة قبل الإسلام عنده. ولم يتداولها فى جاهليته وإنما استمدها من القرآن الكريم بعد إسلامه.

---

[1] نفسه، ص 411.
[2] سورة الأنعام : الآية رقم 19.
[3] سورة البقرة : الآية رقم 273.
[4] سورة البقرة : الآية رقم 101.
[5] سورة آل عمران : الآية رقم 7.

وكما تعددت صور القرآن الكريم فقد تعددت أيضاً صور رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فى شعر حسان، فهو الرسول والنبى والمصطفى. والمبارك أحمد، ونبى الأمة الهادى، ونبى الهدى، وخير البرية، وخير الناس إلى غير ذلك من الصور التى صور بها حسان رسول الله – صلى الله عليه وسلم، حيث يقول :

أعنى الرسول فإن الله فضله ∴ على البرية بالتقوى وبالجود[1]

وقوله :

سقتم كنانة جهلاً من عداوتكم ∴ إلى الرسول فجند الله مخزيها[2]

ويقول :

حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا ∴ قتل النبى ومغنم الأسلاب

وغدوا علينا قادرين بأيدهم ∴ رُدُّوا بغيظهم على الأعقاب[3]

ويقول :

فأنزل ربى للنبى جنوده ∴ وأيده بالنصر فى كل مشهد[4]

ويقول :

حليلة خير الناس ديناً ومنصباً ∴ نبى الهدى والمكرمات الفواضل[5]

ويقول :

والله ما حملت أنثى ولا وضعت ∴ مثل الرسول نبى الأمة الهادى[6]

ويقول :

نصرنا بها خير البرية كلها ∴ إماماً ووقرنا الكتاب المنزلا[7]

---

(1) شرح ديوان حسان ص 136.
(2) المصدر السابق ص 485.
(3) نفسه ص 68.
(4) نفسه ص206.
(5) نفسه ص 380.
(6) نفسه ص155.
(7) نفسه ص 411.

ويقول :

صلى الإله ومن يحف بعرشه ∴ والطيبون على المبارك أحمد[1]

ويقول :

مع المصطفى أرجو بذاك جواره ∴ وفى نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد[2]

ويقول :

فكم كربة ذب الزبير بسيفه ∴ عن المصطفى والله يعطى فيجزل[3]

وبالنظر فى معانى الأبيات السابقة، نجد أن الشاعر حسان بن ثابت قد رسم لنا صورة للنبى – صلى الله عليه وسلم – وجاء تعدد تلك الصور فى مخيلة الشاعر تعدداً واضحاً ، وأنه قد استقى مادة بعض هذه الصور من آيات القرآن العظيم.

وحتى لا نطيل فى الاستنباط والاستدلال على معانى هذه الصور من القرآن الكريم فإننا نذكر على سبيل المثال لا الحصر أنه استقى قوله:

صلى الإله ومن يحف بعرشه ∴ والطيبون على المبارك أحمد

من قول الله تبارك وتعالى : **(إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً)[4].**

وكذلك تعددت صفات الله سبحانه وتعالى وأسمائه الحسنى فى شعر حسان بن ثابت فجاء قوله: الله ، المليك، الرحمن، رب الناس، إله الخلق، رب المشارق، ذو العرش[5].

---

(1) شرح ديوان حسان ص 155.
(2) المصدر السابق ص 153.
(3) نفسه ص395.
(4) سورة الأحزاب آية رقم 56.
(5) سورة الأحزاب آية رقم 56.

يقول حسان بن ثابت :

وقال الله قد أرسلت عبداً ∴ يقول الحق إن نفع البلاء[(1)]

ويقول :

بما صنع المليك غداة بدر ∴ لنا فى المشركين من النصيب[(2)]

ويقول :

يدل على الرحمن من يقتدى به ∴ وينقذ من هول الخزايا ويرشد[(3)]

ويقول :

تعاليت رب الناس عن قول من دعا ∴ سواك إلهاً أنت أعلى وأمجد[(4)]

ويقول :

وأنت إله الخلق ربى وخالقى ∴ بذلك ما عُمرت فى الناس أشهد[(5)]

ويقول :

دعاه إله الخلق ذو العرش دعوة ∴ إلى جنة يرضى بها وسرور[(6)]

وبالتأمل فى الأبيات السابقة نجد أن الشاعر قد استقى مادة صوره فيها من آيات القرآن الكريم، وبذلك يتضح لنا ما كان للقرآن الكريم من فضل عظيم وأثر واضح فى رسم الصورة الشعرية عند حسان بن ثابت.

2ـ البناء اللغوى:

مما لا شك فيه أن عصر صدر الإسلام امتداد طبيعى للعصر الجاهلى. فالشعراء الذين نظموا الشعر فى الإسلام هم أنفسهم أو بعضهم الذين نظموا الشعر فى الجاهلية.

(1) شرح ديوان حسان ص 62.
(2) المصدر السابق ص 71.
(3) نفسه ص148.
(4) نفسه ص135.
(5) نفسه ص135.
(6) نفسه ص 242.

ولكننا نجد أن الشعراء المسلمين الذين عاصروا الدعوة الإسلامية فى عهد النبى – صلى الله عليه وسلم – قد تغيرت ألفاظهم ومعانيهم الشعرية ، وتطور معجمهم الشعرى تطوراً كبيراً، فاستخدموا ألفاظاً ذات دلالات جديدة لم تكن موجودة ولا متداولة فى العصر الجاهلى.

والسبب الرئيس فى ذلك راجع إلى القرآن الكريم الذى امتاز بأسلوب تصويرى عجيب فى إيصال المعانى مجسدة مما كان له أثره الفعال فى تغير لغة هؤلاء الشعراء.

فالفكر دائماً يكون موجها إلى الخارج، ولذلك فإن تجسيده يكون فى اللغة بألفاظها وتراكيبها المختلفة.

فهذه اللغة ليست رداء للفكر وقالباً له وإناء يحتويه، وإنما هى الفكر مجسداً فى ألفاظ لغوية.

"ولما كانت عناصر الأدب فى الفكرة والعاطفة والخيال والألفاظ فإن اللفظة تعتبر السبب الأساسى لكل نقد يوجه إلى اللغة، ولا غرابة فى ذلك. فاللفظة هى أصغر الوحدات ذات المعنى فى الكلام المتصل".[1]

ومن الملاحظ أن "أول ما يلقانا فى نصوص الشعر ألفاظه، وهى ليست ألفاظاً محددة يدل بها الشعراء على أشياء حسية من واقعهم الخارجى، فإنهم لا يعبرون عن هذا الواقع ومسمياته الحقيقية، وأنهم يعبرون عن واقعهم النفسى، وما تختلج به نفوسهم من مشاعر وأحاسيس".[2]

---

(1) دلالة الألفاظ العربية وتطورها، دكتور/مراد كامل ص39. ، مطبعة نهضة مصر، سنة 1963م.
(2) فى النقد الأدبى للدكتور/ شوقى ضيف ص 29.

فقد نظر هؤلاء الشعراء إلى ما فى القرآن الكريم من جزالة اللفظ وبديع النظم والإيجاز والإطناب... إلى غير ذلك من ألوان الجمال فى الأساليب فاستنبطوا منه دقة المعانى وروعة البيان وحسن البديع.

" وإذا كان العرب أوجدوا اللغة مفردات فانية ، فإن القرآن الكريم أوجدها تراكيب خالدة وإن لهذه اللغة معاجم كثيرة تجمع مفرداتها وأبنيتها ولكن ليس لها معجم تركيبى غير القرآن"[1].

ولم تلبث أن تمر الأيام وينتشر الإسلام ويتوالى نزول القرآن وتبدأ الألفاظ والتراكيب تأخذ طريقها إلى لغة الشعراء وتتردد عل ألسنتهم محاولين تجريد الشعر من الخشونة والتعقيد والغرابة وغيرها ، مما كان سائداً فى الشعر الجاهلى. فقد "كانت العرب فى جاهليتها على إرث من إرث آبائهم فى لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى، بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت، فعفى الآخر عن الأول".[2]

ولذلك نجد أن الكثير من الألفاظ والتراكيب والصيغ والعبارات لم تظهر فى شعر صدر الإسلام إلا بعد إسلام بعض الشعراء كحسان بن ثابت وكعب ابن مالك وعبد الله بن رواحة. هؤلاء هم الذين أخذوا يدافعون عن الإسلام بشعرهم. ولذا نجدهم قد تخلوا عن الكثير مما كانوا عليه فى الجاهلية مما لا يتناسب مع تعاليم الإسلام وما جاء به القرآن.

ومن ثم كان للقرآن الكريم أثره العظيم فى البناء اللغوى عند

---

(1) إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعى ص 268.
(2) الصاحبي في فقه اللغة، لابن فارس ص 78 ، تحقيق مصطفى الشويحى ، طبع مؤسسة بدران، بيروت سنة 1963م.

حسان بن ثابت من خلال ألفاظه وتراكيبه وعباراته الجديدة التى استخدمها فى معجمه الشعرى.

فمن التعبيرات التى تميز بها شعر صدر الإسلام أسلوب القسم، فقد استخدم الشعراء جميع أساليب القسم التى ترجع كلها إلى لفظ الجلالة أو صفاته تعالى. وذلك أخذاً بتعاليم الإسلام وما جاء به القرآن من أن اليمين "القسم".

لا ينعقد إلا بالله أو صفة من صفاته. فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت.

وقد تأثر الشعراء فى كل ذلك بأسلوب القرآن الكريم.

يقول حسان بن ثابت :

والله ربى لا نفارق ماجداً ∴ عف الخليقة ماجد الأمجاد[1]

فالشاعر هنا يقسم بالله ربه لا نفارق رسول الله – صلى الله عليه وسلم- فهو ماجد عف الخليقة.

ويقول أيضاً :

والله أسمع ما بقيت بهالك ∴ إلا بكيت على النبى محمد[2]

فالشاعر هنا يقسم بالله سبحانه أن يبكى النبى محمد عليه السلام ما سمع نعى ميت مدة حياته. فيقول : يمين الله لا أسمع نعى ميت مدة حياتى إلا بكيت على النبى محمد.

ولا شك أن الشاعر متأثر فى قسمه هذا بأسلوب القرآن الكريم، وقد كان لأسلوبه هذا أثر كبير فى بنائه اللغوى. وأما فى رثائه للنبى– صلى الله عليه وسلم – فنجد أنه قد اتخذ أسلوباً جديداً لم يكن له عهد به فى الجاهلية. ومن ذلك قوله :

---

(1) شرح ديوان حسان ص 137.
(2) المصدر السابق ص 154.

عزيز عليه أن يحيدوا عن الهدى ∴ حريص على أن يستقيموا وتهتدوا[1]

فالشاعر هنا متأثر بقوله تعالى: (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ).[2]..

ومما تأثر به أسلوب حسان كذلك وكان له أثره العظيم فى البناء اللغوى عنده تكراره للكثير من الألفاظ والمعانى فى شعره، ومن أمثلة ذلك قوله:

ومن خير حى تعلمون لجارهم ∴ عفافاً وعان موثق فى السلاسل

ومن خير حى تعلمون لجارهم ∴ إذا اختارهم فى الأمن أو فى الزلازل[3]

فقد كرر الشاعر قوله "ومن خير حى تعلمون" مرتين.

وكذلك قوله :

ففروا وشد الله ركن نبيه ∴ بكل فتى حامى الحقيقة باسل

ففروا إلى حسن القصور وغلقوا ∴ وكائن ترى من مشفق غير وائل[4]

فالشاعر فى البيت السابق كرر ففروا ، مرتين أيضاً ، وهو فى المرة الأولى يؤكد على أنه من خير أحياء العرب (ومن خير حى تعلمون).

أما فى هذه المرة فإنه يؤكد على فرار المشركين أمام جند المسلمين، فالتأكيد هنا لفظى حيث حدث التكرار مرتين للعبارة ومن خير ما تعلمون، والفعل ففروا .

ويقول حسان أيضاً فى رثاء النبى – صلى الله عليه وسلم :

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت ∴ بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

---

(1) شرح ديوان حسان ص 149.
(2) سورة التوبة ، آية رقم 128.
(3) شرح ديوان حسان ص 371.
(4) المصدر السابق ص 372.

وبورك لحــد منــك ضّــمن طيبــا ∴ عليه بناء من صفيح منضــد[1]

فقد كرر الشاعر كلمة " بورك " فى البيتين السابقين ثلاث مرات . فالشاعر هنا فى شدة انفعاله وتأثره بموت الرسول عليه السلام. وفى تكرار "بورك" انعكاس لحالة الشاعر النفسية ، وإشارة للبركة التى حلت بالمكان الذى دفن فيه الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويقول أيضاً :

ويثــرب تعلــم أنــا بهــا ∴ إذا التــبس الأمــر ميزانهــا
ويثــرب تعلــم أنــا بهــا ∴ إذا قحــط القِطــر نوآنهــا
ويثــرب تعلــم أنــا بهــا ∴ إذا خافــت الأوس جيرانهــا[2]

والشاعر هنا كرر الشطر الأول من البيت ثلاث مرات. وقد تكرر لجوء الشعراء إلى تكرار حروف معينة فى أبيات قصائدهم لما فى ذلك من دلالات صوتية أو نفسية أو تأثيرية خاصة فى قصائد الرثاء. وكان ذلك خير من الندب والولولة والظاهر أن الشعراء كانوا يقصدون من استخدام مثل هذا التكرار أن يوجهوا العقول والأنظار إلى معاناتهم وما يكابدونه من حسرة على فقد ذويهم.[3]

وقد كان الشاعر حسان بن ثابت فى تكراره متأثراً بالأسلوب القرآنى الذى اعتمد على التكرار أحيانا حتى يرسخ المعانى فى ذهن المستمع.

وكذلك نلاحظ أنه قد انتشرت فى شعر حسان الإسلامى صيغ كثيرة لم تكن موجودة فى شعره الجاهلى. وخاصة فى رثائه للنبى – صلى الله عليه وسلم – أو رثائه لمن استشهد من المسلمين. ومن ذلك قوله " صلى الإله – صلى عليك الله ".

---

(1) شرح ديوان حسان ص 147.
(2) المصدر السابق ص 476.
(3) الحركة الأدبية فى المدينة المنورة ، دكتور سليمان بن عبد الرحمن الزهير، ص ص362: 363. الطبعة الثانية 1416هـ، 1996.

يقول حسان فى رثاء أصحاب الرجيع :

صلى الإله على الـذين تتـابعوا ∴ يوم الرجيع فأكرموا وأثيبـوا[1]

ويقول فى رثاء النبى صلى الله عليه وسلم :

صلى الإله ومن يحفّ بعرشـه ∴ والطيبون على المبـارك أحمـد[2]

والمتأمل للبيت السابق يتضح له أن الشاعر استمد أسلوبه من قول الله تبارك وتعالى: **(إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً)**[3]

ويقول أيضاً فى رثاء سيد الشهداء " حمزة بن عبد المطلب":

صلى عليك الله فى جنـة ∴ عاليـة مكرمـة الـداخل[4]

وهكذا يتضح لنا مما سبق مدى تأثر حسان فى بنائه اللغوى بتلك الصيغ التى جاءت فى شعره الإسلامى والتى استقاها من أسلوب القرآن الكريم فى الكثير من الأحيان.

وكذلك نلاحظ أيضاً أن هناك الكثير من الصيغ التى استخدمها الشاعر حسان بن ثابت فى شعره الجاهلى وظل يستخدمها فى شعره الإسلامى وذلك لعدم تعارضها مع تعاليم الإسلام ولأثرها الفعال فى الهجاء الذى كان سلاحه الفتاك ضد مشركي قريش وكفارها. ومن تلك الصيغ قوله : " ألا أبلغ –ألا من مبلغ – أبلغ – هلا سألت – يا راكباً إما عرضت فبلغن ... وغيرها.

يقول حسان يهجو أبا سفيان :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى ∴ فأنت مجوف نخـب هـواء[5]

---

(1) شرح ديوان حسان ص 84.
(2) المصدر السابق ص 155.
(3) سورة الأحزاب : آية رقم 56.
(4) شرح ديوان حسان ص 387.
(5) المصدر السابق ص 63.

ويقول :

ألا من مبلغ عنــى ربيعــا ∴ فما أحدثت فى الحدثان بعدى[1]

ويقول يهجو أبا الضحاك بن خليفة الأشهلي :

أبلـغ أبـا الضـحاك أن عروقـه ∴ أعيت علـى الإسلام إن تمجـدا[2]

ويقول :

هلا سألت هداك الله ما حســبى ∴ أم الوليد وخير القــول للـــواعى[3]

ويقول أيضاً فى هجاء أبى سفيان :

أيا راكباً إما عرضت فبلغـــــن ∴ على النأى منى عبد شمس وهاشما[4]

وهكــذا يتضــح لنــا مــن خــلال اســتخدام الشــاعر لهـذه الصــيغ والعبارات فى الجاهلية وصدر الإسـلام، أنهـا جـاءت معظمهـا فـى الهجـاء. ومـن ثـم كـان تأثيرهـا قويـاً علـى أعـداء الإسـلام ممـا حـدا بالشـاعر أن يستمر فى استخدامها بعد إسلامه فى هجاء المشركين.

والذى لا شك فيه أن ملازمة الشـاعر حسـان بـن ثابت للرسـول – صـلى الله عليـه وسـلم – وقراءتـه الدائمـة للقـرآن الكـريم ، كـان لهمـا أثرها الواضح فى تهذيب ألفاظه واختيـار عباراتـه وصقل أسلوبه وبيانـه، وخاصة عندما آمن العرب ودخلوا فى دين الله، فتوحدت لهجاتهم فى لغة واحدة هى لغة القرآن الكريم، الذى أصبح دستور الحيـاة. ولـذلك هجـر العـرب الكـثير مـن الألفـاظ التـى كـانوا يسـتعملونها فـى الجاهليـة، ولا سيما الخشن منها والغريب، والوحشى أو تلك التي لا تتناسـب مـع الـدين الجديـد. وكـذلك جـدت ألفـاظ كـثيرة لم تكـن متداولـة قبـل ذلـك فـى

(1)نفسه، ص 163.
(2) نفسه ص 203.
(3) شرح ديوان حسان ، ص 311.
(4) نفسه ص 466.

لغتهم، وكذلك الألفاظ التى وضعت لمعانيها فى الدين الإسلامى، ولم تكن مستخدمة من قبل.

وكل ذلك لا شك كان له أثره الفعال فى البناء اللغوى الذى انتهجه حسان فى شعره بعد إسلامه.

يقول حسان فى مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم :

أغر عليه للنبوة خاتم ∴ من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبى إلى اسمه ∴ إذا قال فى الخمس المؤذن أشهد
نبى أتانا بعد يأس وفترة ∴ من الرسل والأوثان فى الأرض تعبد[1]

فإننا لو تأملنا الأبيات السابقة وجدنا أن الشاعر يدعمها من القرآن حيث يستمد ألفاظه وتعبيراته من القرآن، فنجده يقتبس ألفاظ البيت الأول من قوله تعالى: (**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**)[2].

والشطر الثانى من قوله: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً**)[3]. وقوله تعالى:(**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً**)[4]

وكذلك نجد أنه استمد البيت الثالث من قوله تعالى: "**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**"[5]

ويقول حسان :

وشق له من اسمه ليجله ∴ فذو العرش محمود وهذا محمد[6]

---

(1) شرح ديوان حسان، ص 134.
(2) سورة الأحزاب: آية رقم 40.
(3) سورة الأحزاب: آية رقم 45.
(4) سورة المزمل: آية رقم 15.
(5) سورة المائدة: آية رقم 19.
(6) شرح ديوان حسان ص 134.

ففى هذا البيت نجد الشاعر يمزج بين مدحه لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبين مدح الذات الإلهية . فالله سبحانه وتعالى شق له من اسمه اسماً فسماه محمداً ، واسم الله تعالى المشتق منه محمود ، والحمد لا يكون إلا لله ، ولا يقع إلا عليه ، فأراد الله – تبارك وتعالى – أن يعلى قدر نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – بهذا الوصف تعظيماً له فسماه محمداً.

والشاعر يستمد ألفاظه من قوله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)[1]

ونلاحظ أن الشاعر حسان بن ثابت فطن للكثير من الألفاظ التى طرأت فى الإسلام ولم تكن موجودة قبل ظهوره. ومن هذه الألفاظ " الإيمان – الكفر – الإسلام".. فالإيمان الذى هو ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق الذى ضده التكذيب، والفرق بين الإسلام والإيمان هو أن الإسلام إظهار الخضوع والقبول لما جاء به النبى محمد – صلى الله عليه وسلم.

فإذا كان هناك مع الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب لما تلفظ به اللسان، فذلك هو الإيمان. الذى يقال للموصوف به مؤمن، وهو المؤمن بالله، ورسوله، غير مرتاب ولا شاك، وهو الذى يرى أداء الفرائض واجباً عليه، وأن الجهاد بنفسه وماله واجب عليه، ولا يدخله فى ذلك ريب، فهو مؤمن حقاً. وذلك مأخوذ من قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ).[2]

أى أولئك الذين قالوا إنا مؤمنون، هم الصادقون. فأما من أظهر قبول

---

[1] سورة الفتح : آية رقم 29.
[2] سورة الحجرات : آية رقم 15.

الشريعة واستسلم لدفع المكروه فى الظاهر فهو مسلم، وباطنه غير مصدق ، فذلك الذى يقول أسلمت، لأن الإيمان لابد أن يصاحبه تصديق بما آمن به.

يقول حسان بن ثابت:

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم ∴ إلى الموت ميمون النقية أزهر[1]

ويقول أيضاً :

رأيت خيار المؤمنين تواردوا ∴ شعوب وقد خلفت فيمن يؤخر[2]

فعندما ننظر إلى البيتين السابقين، يتضح لنا أن لفظ المؤمنين الذى ذكره الشاعر لم يتداوله الشعراء فيما تداولوه من ألفاظ قبل الإسلام. وإنما كان استخدام حسان له فى الإسلام ليفرق به بين فريقين من الناس هم فريق المؤمنين وفريق الكافرين.

يقول حسان :

ألا ليت شعرى هل أتى أهل مكة ∴ إبارتنا الكفار فى ساعة العسر[3]

ويقول أيضاً :

أنتم أحابيش جمعتم بلا نسب ∴ أئمة الكفر غرتكم طواغيها[4]

الشاعر هنا أورد لفظ " الكفار – أئمة الكفر" ليفرق بين المؤمنين والكافرين. وكذلك تلاحظ أن (حسان) أورد فى شعره ألفاظاً لم تكن موجودة فى الشعر الجاهلى، فقد ورد فى شعره الإسلامى ذكر "روح القدس– جبريل– الملائكة الأبرار- المسجد- الشهيد– البعث". وغيرها من الألفاظ الإسلامية.

يقول حسان :

وجبريل رسول الله فينا ∴ وروح القدس ليس له كفاء[5]

---

(1) شرح ديوان حسان ص 236.
(2) المصدر السابق، ص 235.
(3) (إبارتنا أى أهلكنا تقول أبرنا القوم أى أهلكناهم)شرح ديوان حسان ص 243.
(4) شرح ديوان حسان ، ص 485.
(5) شرح ديوان حسان، ص 62.

ويقول أيضاً :

ماذا تقولون إن قال النبى لكم ∴ حين الملائكة الأبرار فى الأفق[1]

ويقول أيضاً فى هجاء عتبة بن أبى وقاص:

لقد كان خزياً فى الحياة لقومه ∴ وفى البعث بعد الموت إحدى العولق[2]

فكلمة البعث لم تكن متداولة بهذا المعنى الذى عرفت به فى الإسلام.

وهناك الكثير من الكلمات والألفاظ التى تحمل فى باطنها معنى الإسلام وأركانه وأصوله، سواء على طريقة المجاز أو الحقيقة والتى لم تكن موجودة فى الجاهلية، وظهرت بظهور الإسلام، وتداولها حسان بن ثابت فى أشعاره والتى لا يتسع المجال لسردها، ونكتفى بالإشارة سريعاً إليها من مثل " التقوى – الجود– الحلال – الحرام – الجنة – النار – الفردوس – الشهيد – القيامة – فرائض الإسلام – دين الهدى – جنة عالية – جنة الخلد – جنة تثنى عيون الحسد .... وغيرها، وقد كان استخدام هذه الألفاظ والمعانى مظهراً من مظاهر أثر القرآن الكريم فى سمات البناء اللغوى عند الشاعر حسان بن ثابت، والذى لاشك فيه هو أن لغة القرآن الكريم ودلالاته اللفظية واللغوية كان لها أثرها فى نفوس العرب جميعاً، مما جعلها تخلق أفقاً رحباً فى وجدان الشاعر وفى بنائه اللغوى الجديد الذى استمده فى الكثير من الأحيان من القرآن الكريم وأسلوبه الرائع البليغ.

3 – البناء الفكرى:

مما لا شك فيه أن بناء المجتمعات فكرياً يختلف باختلاف المعتقدات الدينية السائدة فى المجتمع. ومن هنا نلاحظ أن الأفكار والمعانى التى كانت سائدة فى المجتمع الجاهلى اختلفت كثيراً عندما

---

(1) المرجع السابق، ص 346.
(2) نفسه، ص 346-347.

أصبح الإسلام سائداً فى مجتمع صدر الإسلام.

فقد أدخل القرآن الكريم كثيراً من المعانى القيمة والأفكار السامية فى حياة العرب بعد إسلامهم، ويتضح لنا ذلك من خلال أغراضهم الشعرية وأفكارهم التى تطرقوا إليها فى مجتمعهم الجديد، والتى لم تكن موجودة فى المجتمع الجاهلى.

فقد كانوا فى الجاهلية يفخرون بأيامهم وبعصبيتهم وشربهم للخمر، حيث كان ذلك مظهراً من مظاهر السيادة والشرف عندهم.

يقول حسان شاعر الخزرج مفتخراً على شعراء الأوس يوم بعاث:

هلا غضبتم لأعْبُدٍ قتلوا ∴ يوم بعاث أظلهم ظلف
وكم قتلنا من رائس لكم ∴ فى فيلق يجتدى له التلف
إن سميراً عبد طغى سفها ∴ ساعده أعبد لهم نطف[1]

ويقول فى فخره بشرب الخمر :

ولقد شربت الخمر فى حانوتها ∴ صهباء صافية كطعم الفلفل
.... ∴ ....
بزجاجة رقصت بما فى قعرها ∴ رقص القلوص براكب مستعجل[2]

ولكننا نجد أن (حسان) بعد إسلامه وقراءته للقرآن الكريم ودفاعه عن جماعة الإسلام والمسلمين، قد ارتقى فكره بعد أن شرح الله صدره للإسلام، وملأ قلبه بالإيمان، فتحول الفخر القبلى عنده إلى الفخر بالمسلمين جميعاً، لأن الإسلام أطفأ جذوة العصبية الجاهلية، وألف بين قلوب المسلمين جميعاً، فأصبحوا بنعمة الله إخواناً، وها هو حسان يفخر بالمهاجرين والأنصار جميعاً فيقول:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ∴ قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته ∴ تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا

(1) شرح ديوان حسان ص 341. وجاء صدر البيت الأول فى رواية أخرى "ألا يدل من هل.."
(2) شرح ديوان حسان، ص 367 : 368.

قـوم إذا حـاربوا ضـروا عـدوهم ∴ أو حاولوا النفـع فـى أشياعهم نفعوا[1]

فـالفخر هنـا أصبح فخـراً بالمسـلمين جميعـاً بعـد أن كـان فـى الجاهليـة فخـراً بقبيلـة الخـزرج فقـط. وفخـره بالجماعـة الإسـلامية يـدور معظمه في نطاق المعانى الإسلامية من الاعتصام بدين الله والمحاماة عنه ونصرة رسوله – صلى الله عليه وسلم. ومن ذلك قوله يفاخر المشركين:

مستعـصمين بحبل غير منجذم ∴ مسـتحكم مـن حبـال الله ممـدود
فينـا الرسول وفينـا الحق نتبعـه ∴ حتى الممات ونصر غير محدود[2]

وقد استقى ذلك من معنى قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَـأَلَّفَ بَـيْنَ قُلُوبِكُمْ ..)[3].

وكذلك نجده يفخر بقومه من الأنصار ويتحدى بلسانهم قريش ومن معها من المشركين حيث يقول:

وقـال الله قـد يسـرت جنـداً ∴ هـمُ الأنصـار عرضـتها اللقـاء[4]

ويقول أيضاً:

سـماهم الله أنصـاراً لنصـرهم ∴ دين الهدى وعوانُ الحرب تستعر
وجاهدوا فـى سبيل الله واعترفوا ∴ للنائبات فما خاموا وما ضجروا[5]

والمتأمل فى البيت الأول يجد أن الشاعر استقى اسم الأنصـار وأطلقه على أهل يثرب من الأوس والخزرج لنصرهم دين الله ورسوله الكريم، وذلك من قوله تعالى: (وَالسَّـابِقُونَ الْـأَوَّلُونَ مِـنَ الْمُهَـاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[6]

(1) شرح ديوان حسان، ص 341.
(2) المرجع السابق، ص 341.
(3) سورة آل عمرن: الآية رقم 103.
(4) شرح ديوان حسان ص 62.
(5) المصدر السابق ص 255.
(6) سورة التوبة : الآية رقم 100.

ثم نجده يتحدث فى البيت الثانى عن جهادهم فى سبيل الله بعد أن كانت حروبهم فى الجاهلية فى سبيل القبيلة، ونصرتها، ولا شك أن الجهاد فى سبيل الله من الأمور التى دعا إليها القرآن وحث عليها، ومن ثم تغير فكرهم كثيراً، فبعد أن كانت حروبهم فى سبيل نصرة بعضهم بعضاً أصبحت حروبهم جهاداً فى سبيل الله وفى سبيل نصرة رسوله ودينه.

وكذلك نرى الشاعر فى موضع آخر من شعره يفخر بقومه من الأنصار فيقول:

وكنا ملوك الناس قبل محمد ∴ فلما أتى الإسلام كان لنا الفضل

وأكرمنا الله الذى ليس غيره ∴ إله بأيام مضت ما لهـا شـكل

بنصر الإلـه للنبـى ودينـه ∴ وأكرمنا باسم مضى ما له مثل[1]

ففى الأبيات السابقة نلمس مكانة حسان وقومه فى العصر الجاهلى، حيث إنهم كانوا ملوك الناس جميعاً، فلما جاء الإسلام كان لهم فضل السبق فى الدخول فيه. والله سبحانه وتعالى أكرمهم بنصر من عنده، وسموا بالأنصار وذلك لنصرهم دين الله وسبقهم بالدخول فى الإسلام.

ومن الملاحظ أن فخر حسان قد تطور تطوراً كبيراً فأصبح يتناول الإطار والمضمون معاً. فمن حيث الإطار لم يعد فخره وقفاً على الخزرج قومه فقط، بل اتسع ليشمل كل الأنصار جميعاً، فقد ألف الإسلام بينهم.

يقول حسان:

وإنك لن تلقى من الناس معشراً ∴ أعز من الأنصار عزاً وأفضلا[2]

وأما من حيث المضمون فلم يعد فخره يدور فى فلك القيم

(1) شرح ديوان حسان ص 384.
(2) المرجع السابق، ص 384.

الجاهلية وحدها ، بل أخذ يستمد فخره من ينابيع إسلامية أخصبت معانيه ووسعت أفاقه وامتزاج القيم الجاهلية بالإسلامية فى هذا الفخر أمر طبيعى، وذلك لأن نفوس القوم فى ذلك الوقت لم تزل متعلقة بالموروث الجاهلى، وخاصة أن الإسلام أبقى على الكثير من القيم الجاهلية التى لا تتعارض مع قيمه ومبادئه.

وعندما كان يقصد حسان إلى الفخر فإنه كان يأتى به ضمن نقائضه مع شعراء المشركين، وهو جينئذ يكون ممتزجاً بالهجاء، وأحياناً يأتى به فى قصائد مستقلة. فهو من أغراض شعره الأصيلة التى تتصل بنفسه أوثق اتصال. وفى الكثير من الأحيان نجده يستهل فخره بالمعانى الجاهلية فيعدد مآثر قومه من جود وكرم وشجاعة ونسب عريق وغير ذلك، ثم يرد فيها بالمآثر التى حازوها فى الإسلام من نصرتهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – وإيوائهم له. والدفاع عن رسالته بسيوفهم وشعرهم، وغير ذلك.

يقول حسان :

نصرنا وآوينا النبى محمداً ∴ على أنف راض من معد وراغم
نصرناه لما حل وسط رحالنا ∴ بأسيافنا من كل باغ وظالم
جعلنا بنينا دونه وبناتنا ∴ وطبنا له نفساً بفئ المغانم[1]

ويقول أيضاً :

أتانا رسول الله لما تجهمت ∴ له الأرض يرميه بها كلُّ مُوفق
فكنا له من سائر الناس معقلا ∴ أشم منيعاً ذا شماريخ شَهّق[2]

كذلك لم يغفل حسان فى فخره عن المفاخرة والتباهى بمتانة القربى التى كانت تربط بنى النجار بالنبى – صلى الله عليه وسلم –

---

(1) شرح ديوان حسان ، ص 439.
(2) المصدر السابق ، ص 344: 345.

حيث يقول:

ونحن ولدنا من قريش عظيمها ∴ ولدنا نبى الخير من آل هاشم(1)

وكثيراً ما يغمر حسان زهو عظيم يثلج قلبه وفؤاده وذلك عندما يذكر أن الله سبحانه قد آثر قومه وفضلهم على غيرهم من قبائل العرب حين نصر بهم رسول الله وأعز جانبه وأنزل الوحى بين ظهرانيهم.

يقول حسان :

الله أكرمنــا بنصــر نبيــه ∴ وبنــا أقــام دعــائم الإســلام
وبنــا أعــز نبيــه وكتابــه ∴ وأعزنــا بالضــرب والإقــدام
ينتابنــا جبريــل فــى أبياتنــا ∴ بفـرائض الإسـلام والأحكـام
يتلو علينا النور فيها محكماً ∴ قسما لعمرك ليس كالأقسام
فنكــون أول مســتحل حلالــه ∴ ومحــرم لله كــل حــرام
نحـن الخيـار من البريـة كلهـا ∴ ونظامها وزمام كل زمام(2)

وهكذا نلاحظ أن هذا الفخر يشف عن شعور دينى صادق يمتزج فى نفس حسان امتزاجاً قوياً بعاطفة الاعتزاز بنسبه وقبيلته. وهذا هو شأنه فى سائر فخره الذى يتصل بالمنافحة والدفاع عن رسول الله والذود عن رسالته، فإنما هو يصدر فى مجمله عن شعور دينى صادق وإيمان عميق.

ومما يدلنا أيضاً على أثر القرآن الكريم فى البناء الفكرى للشاعر حسان ابن ثابت ما طرأ على فن المديح عنده. فبعد أن كان المديح فى الكثير من الأحوال يخضع للناحية المادية حيث اتخذه بعض الشعراء وسيلة للتكسب من الممدوح ، أو أن يكون المديح من باب التعصب القبلى للممدوح، فإننا لا نجد مثل هذا الشىء فى مديح حسان للرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(1) المصدر نفسه ، ص 440.
(2) شرح ديوان حسان ص 445.

إلا أن الإسلام أوجد واقعاً قوياً حمل (حسان) على المديح للرسول، وذلك هو الدافع الدينى، فعندما ألقيت مهمة الدفاع والمنافحة عن الرسول على كاهل حسان قبل ذلك راضياً مبتهجاً.

وانتهج حسان فكراً جديداً بنى على أساسه مديحه للرسول، وهو الدافع الدينى حيث أصبحت أخوة الدين لا تقل عن أخوة النسب والعصب. فالإسلام أوجب على المسلمين أن يكون حب الرسول – صلى الله عليه وسلم – مقدماً على حبهم لأنفسهم. فالرسول ليس ملكاً لأحد. وإنما هو خالص لكل المسلمين ، فحبه واحترامه ليس قصراً على قبيلته وعشيرته، وإنما هو موزع على المسلمين جميعاً؛ بل لا يكتمل إيمان المؤمن حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه التى بين جنبيه.

وصفته الدينية أوجبت على كل قبيلة أن تجعل آصرتها برسول الله لا تقل قوة عن الآصرة التى تربطه بعشرته ، ومن ثم كان مديح حسان للرسول عليه السلام يخضع لهذا الدافع الدينى ، وذلك هو الذى جعله يضفى على الرسول من الصفات الحميدة ما يليق به صلى الله عليه وسلم.

وخير ما قال حسان فى المديح قصيدته فى مدح قريش التى قيل إنه ارتجلها حين قدم وفد بنى تميم على الرسول صلى الله عليه وسلم.

يقول فى ذلك :

إن الذوائب من فهر وأخوتهم ∴ قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته ∴ تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ∴ أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

.... ∴ ....

.... ∴ ....

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم ∴ إذا تفرقت الأهواء والشيع[1]

فقد جعل حسان أكثر معانى مديحه فى هذه القصيدة تدور فى إطار المعانى الإسلامية، فهم الذين اختطوا للناس بفضل الرسول الكريم نهجاً جديداً يتبعونه، ويسير المؤمنون على هديه، وهم الذين ساروا تحت لواء النبى- عليه السلام – يقاتلون أهل الكفر والشرك، حتى دانوا لهم وحسبهم شرفا وفخراً. أنهم شيعة رسول الله وجنده المدافعون عنه.

وهكذا جاء مديح حسان للرسول – صلى الله عليه وسلم – حيث أداره على المعانى الإسلامية وحدها، فهو لم يظهر الرسول فى صورة سيد من سادة أهل الجاهلية وعظمائها يعتز بنسبه وحسبه ومآثره، وإنما أظهره فى صورة نبى كريم ورسول عظيم أرسله ربه لهداية الناس، فأضفى عليه من الصفات ما يلائم هذه الصورة فهو مبارك، ميمون النقية، ماجد، عف الخليقة، رءوف بالناس، هادٍ ومرشدٍ لهم.

يقول فى ذلك مجيباً أبا سفيان :

هجوت محمداً فأجبت عنه ∴ وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء ∴ فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركاً براً حنيفاً ∴ أمين الله شيمته الوفاء[2]

وقد أراد الشاعر من خلال هذه الأبيات أن يظهر صفة النبوة والهداية التى اتصف بها النبى – صلى الله عليه وسلم – وتميز بها عن سائر الخلق.

وكذلك نجد أن فى شعر حسان الإسلامى ترجمة صادقة لصدق إيمانه وتأثره فى معانيه وأفكاره بمعانى القرآن وبما فيه من سمو فكرى

---
(1) شرح ديوان حسان ص 304 : 307.
(2) شرح ديوان حسان ص 64.

وعقائدى.

حيث يقول :

شـهدت بـإذن الله أن محمـداً ∴ رسول الذى فوق السموات من علَ
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما ∴ لـه عمـل فـى دينـه متقبـل
وأن أخا الأحقاف إذ يعدلونه ∴ يقـوم بـدين الله فـيهم فيعـدل[1]

ففى الأبيات السابقة نجد أن الشاعر كان تأثره واضحاً بمعانى القرآن وأفكاره، فهو كما يشهد بنبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – وأنه رسول الله الذى أرسله، يقر أيضاً بنبوة الأنبياء الآخرين ويؤمن بهم، فالإيمان بما جاءوا به تأمر به العقيدة الإسلامية، وقد استقى ذلك من قوله تعالى: **"آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ".**[2]

وهكذا يتضح لنا أثر دلالة الألفاظ القرآنية الواضح فى الأبيات السابقة، فهو فى البيت الثانى يشير إلى نبى الله زكريا وابنه يحيى عليهما السلام، مقتبساً أفكاره تلك من قوله تعالى: **(هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ◆فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ)**[3].

وقد أشار إليهما القرآن الكريم فى موضع آخر حيث يقول الله تبارك وتعالى: **(يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً).**[4]

أما فى البيت الثالث فنرى الشاعر يشير إلى نبوة سيدنا هود عليه السلام إذ أرسله الله إلى قوم عاد فلم يؤمنوا به ولم يتبعوا رسالته.

---

(1) شرح ديوان حسان ص 375: 376.
(2) سورة البقرة، الآية (285).
(3) سورة آل عمران : آية رقم 38، 39.
(4) سورة مريم : آية رقم 7.

والشاعر هنا متأثر إلى حد كبير بما ورد ذكره فى القرآن حيث يقول الله تعالى:(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلا مُفْتَرُونَ)[1]

وقوله تعالى: (وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)[2]

وبذلك يتضح لنا أثر القرآن الكريم فى البناء الفكرى عند الشاعر حسان بن ثابت ، وكيف كان تأثره بمعانى القرآن الكريم مما جعل أفكاره تسمو ومعانيه ترقى عما كانت عليه فى الجاهلية ، وتأتى أفكاره ومعانيه فى إطار إسلامى خالص، وإن كان فيها بقايا مما كان فى الجاهلية فهى لا تخرج عما دعا إليه الإسلام والقرآن.

مكانة حسان[3] بين معاصريه

يُعد حسان بن ثابت من الشعراء الذين سبقوا غيرهم فى الدخول إلى الإسلام، وكذلك فى التأثر بكل ما جاء به القرآن الكريم من بناء فكرى وصور شعرية وتراكيب لغوية .. وغيرها.

وذلك لأنه من أوائل الشعراء الذين عاشوا فى ظل القرآن الكريم ومعيته. وفى ظل النبى – صلى الله عليه وسلم – يستمدون وينهلون من فيض القرآن الذى لا ينضب ونبعه الذى لا يجف فقد أبهرهم بيانه الرائع وأسلوبه

---

[1] سورة هود : آية رقم 50.

[2] سورة الأحقاف : آية رقم 21.

[3] نسب الرواة حسان إلى أبيه فقالوا : هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو ابن زيد بن مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار – وهو تيم الله بن ثعلبه بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن مزيقاء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ - بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ونسبوا إلى أمه فقالوا: أم الفُريعة بنت خنيس بن لوازن بن عبد ود بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج. وبذلك يكون حسان بن ثابت خزرجياً من جهة أبيه وأمه، ومن أقوى بطونها جميعاً. راجع ديوان حسان بن ثابت تحقيق دكتور/ سيد حنفى ص 9 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1974م.

العذب فأمدهم بألفاظ ومصطلحات جديدة لا عهد لهم بها من قبل.

ويمكننا أن نحس بأثر القرآن الكريم فى ثقافة الشاعر التى كان يودعها أشعاره. حيث كان الشعراء يغترفون من القرآن نصاً وروحاً ، وقد كان تأثير القرآن امتداداً لإعجازه فى الجانب الإيمانى عندهم مما يكشف لنا بوضوح سبب وقوفهم إلى جانب الدعوة الإسلامية مدافعين عنها متصدين لأعدائها من شعراء المشركين.

ولقد تبوأ حسان منزلة عظيمة بين معاصريه فى الجاهلية والإسلام فهو فى الجاهلية لسان قبيلته وسيد من ساداتها ضد الأوس وشعرائها. وقد كان نصيب حسان كما يقول البرقوقي شارح الديوان " نصيب الشاعر الذى أذاب الشعر والشعر يذيبه، ويدعو القول والقول يجيبه – نصيب العبقرى المفتن الموهوب الذى ملك الفن عليه حسه، واستبد به حتى ما يكاد يعرف نفسه. وهو الشاعر العبقرى – فقد شهد كثيراً من حروب الأوس والخزرج فى الجاهلية ثم شهد المشاهد كلها فى الإسلام. ومع ذلك كله لم يخترط سيفاً وما شاك سلاحاً، وإنما سيفه الصمصامة الذكر لسانه، ومذوداه قلبه وبيانه، وهذا هو كل ما يملك حسان، وهذا هو كل ما كان منه، وسط هذه المعامع والوقائع والحروب، قافية ينتصر فيها لقومه ويفتخر بمساعيهم وفعالهم، أو قصيدة يدافع فيها عن السيد الأمين ويذب عن بيضة الإسلام ويشهر فيها بقريش..."[1]

قال أبو عبيدة: اجتمعت العرب على أن حساناً أشعر أهل المدر. وقال عمرو بن العلاء: حساناً أشعر أهل الحضر، وقال أبو الفرج الأصبهاني : "حسان " فحل من فحول الشعراء.

---

[1] شرح ديوان حسان بن ثابت ، لعبد الرحمن البرقوقي الأنصاري ص 21.

وجاء عن عمر بن الخطاب قوله: "من خير صناعات العرب الأبيات يقدمها الرجل بين يدى حاجته، يستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم".[1]

وبذلك يكون حسان بن ثابت قد تربع على خير صناعات العرب فى الجاهلية والإسلام، فقد عاش حياته بين الجاهلية والإسلام متخذاً من الشعر سلاحاً يدافع به عن قومه فى الجاهلية. وينافح به عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين شعراء المشركين فى الإسلام.

وأما عن مكانته فى الجاهلية فمن الثابت أنه نظم الشعر الجيد فى الجاهلية حتى عُدَّ من شعرائها المشهورين، ومن ثم عده ابن سلام أشعر شعراء المدينة وهى عنده أشعر القرى... وقد طرق حسان الموضوعات التى شاعت عند الشعراء الجاهليين، فنجده قبيل الإسلام يتردد على بلاط الغساسنة مادحاً ساداتهم.[2]

ويقال أيضاً أنه مد رحلاته إلى بلاد النعمان بن المنذر. وكان لسان قبيلته "الخزرج" فى الحروب التى قامت بينها وبين قبيلة الأوس فى الجاهلية. ومن ثم اصطدم بالشاعرين الأوسيين قيس بن الخطيم وأبى قيس بن الأسلت.[3]

ويدلنا ذلك على أن "حسان" قد طرق فى شعره قبل الإسلام الموضوعات الجاهلية وأجادها وأتقنها خاصة موضوعات الهجاء والمديح والفخر والرثاء والوصف.

وقد بلغ فى ذلك كله شأناً عظيماً يدلنا عليه شعره الجيد فى

---

(1) البيان والتبيين للجاحظ جـ32/2. تحقيق عبد السلام هارون.
(2) الشعر والشعراء لابن قتيبة جـ311/1. تحقيق أحمد محمد شاكر ط الثالثة، 1977م.
(3) راجع ديوان حسان تحقيق الدكتور/ سيد حنفى، وكذلك ديوان قيس بن الخطيم تحقيق د/ناصر الدين الأسد.

مدح آل جفنة من الغساسنة.[1]

ومما يدلنا أيضاً على منزلته فى الجاهلية أن مزرداً أخا الشماخ كان يفاخر به كعب بن زهير حيث رد عليه مزرد بقوله:

فلستَ كحسانَ الحسام ابن ثابت ∴ ولست كشماخ ولا كالمخبل [2]

فحسان يُعد من بقية الشعراء الجاهليين الذين امتد بهم العمر. ولم يبق فى عصره منهم من يطاوله مكانة ومنزلة إلا لبيد بن ربيعة وكعب بن زهير والحطيئة والخنساء. ولم يتمكن أحد من هؤلاء الشعراء أن يبرز فى الإسلام ويساير الدعوة الإسلامية مثلما برز حسان فهو الشاعر البارز الذى يهابه ويخشاه خصومه.

فقد كانت قريش تجزع جزعاً شديداً من هجائه حيث كان يطعنهم فى أحسابهم وأنسابهم ويرهبهم بالهنات، وكان الرسول يوجهه الوجهة التى تروع خصوم المسلمين وأعداءهم.

فالرسول كان يرى أن الملكة الشعرية عند حسان أصلح منها عند سواه.

وقد أراد الرسول – صلى الله عليه وسلم - أن يستخدم ملكة حسان فى سبيل الدعوة الإسلامية. فوجه مقدرته الهجائية الفائقة لمناقضة خصومه من المشركين. وأرسله إلى أبى بكر الصديق يعلمه هنات القوم، فهو نسابه العرب.

فعن السيدة عائشة – رضى الله عنها – قالت : حين رأى النبى – صلى الله عليه وسلم – عتو قريش وهجاءها الشديد دعا المسلمين القادرين إلى جهاد جديد " أهجو قريشاً، فإنه أشد عليهم من رشق النَّبل، فأرسل إلى ابن رواحة – رضى الله عنه – ثم إلى كعب بن مالك

(1) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي جـ218/1، وكذلك الشعر والشعراء جـ311/1.
(2) الشعر والشعراء جـ162/1.

– رضى الله عنه-   ثم إلى حسان – رضى الله عنه – وقال : إن روح القدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله. وقال: حين قام حسان لهم " هجاهم حسان فشفى واشتفى"[1].

ومما يدل على منزلة حسان فى الإسلام أن الرسول كان يضع له منبراً فى المسجد، فينشد فيه ويدافع عن الله ورسوله.[2] وقد استمر حسان على عادته بعد وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم – فمر عمر بن الخطاب، وهو ينشد فى المسجد، فلحظ إليه. فقال: قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبى هريرة – رضى الله عنه – فقال: أنشدك الله أسمعت رسول الله يقول: أجب عنى اللهم أيده بروح القدس، فقال أبو هريرة : اللهم نعم[3].

وبذلك يُعد حسان بن ثابت من أوائل الشعراء المسلمين وأعظمهم منزلة وأبعدهم أثراً فهو الذى تولى الدفاع عن الإسلام والمسلمين بشعره عندما أمره الرسول – صلى الله عليه وسلم – بذلك.

وترجع أهمية حسان إلى أنه من أبرز الشعراء الذين رفعوا راية النضال الشعرى ضد المشركين وأنه أقوى الشعراء الذين اعتمد عليهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى الذب عن أعراض المسلمين ضد هجاء قريش أول الأمر"[4].

وقد كان حسان موضع عناية الدارسين قديماً وحديثاً، ويبرر ذلك أبو عبيدة بقوله : فضل حسان الشعراء بثلاث كان شاعر الأنصار

---

(1) يراجع الحديث عن السيدة عائشة فى صحيح مسلم جـ146/4.
(2) انظر سنن أبي داود جـ464/4.
(3) يراجع الحديث فى صحيح مسلم جـ146/4.
(4) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، دكتور/ يحيى الجبوري ص 63، مؤسسة الرسالة، ط الثانية، 1491هـ-1981م.

فى الجاهلية، وشاعر النبى – صلى الله عليه وسلم – فى النبوة، وشاعر اليمن كلها فى الإسلام.[1]

وقال: اجتمعت العرب على أن حساناً أشعر أهل المدر. وقال الحطيئة أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب. ولقد ظل الشعر مزدهراً فى صدر الإسلام، فقد روى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – ما يدل على عنايته بالشعر وتقديره لأثره الكبير فى نفوس العرب: قال – صلى الله عليه وسلم – إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكما وقيل لحكمة.

وهكذا نجد أن النبى – صلى الله عليه وسلم – يقرن البيان بالسحر وذلك فصاحة منه، وأنه أيضاً جعل من الشعر حكما أو حكمة لأن السحر يخيل للإنسان ما لم يكن للطافته وحيلة صاحبه. وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصورة الباطل، والباطل بصورة الحق. لرقة معناه ولطف موقعه، وأبلغ البيان عند العلماء الشعر. " ومن يقرأ شعر المخضرمين متصفحاً ما نشر فى كتب التاريخ والأدب يجد جمهور الشعراء يصدرون فى جوانب من أشعارهم عن قيم الإسلام الروحية التى آمنوا بها وخالطت شغاف قلوبهم".[2]

ومما يدلنا دلالة قاطعة على منزلة حسان فى الإسلام أن شعره كان وسيلة من وسائل الدفاع عن الإسلام والذود عن حياض المسلمين ونشر الدعوة الإسلامية. " وبحق سُميَّ حسان شاعر الإسلام ورسوله

---

(1) الأغانى جـ136/4 لأبى فرج الأصبهاني، وكذلك شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصارى، ص 29، لعبد الرحمن البرقوقي.

(2) تاريخ الأدب العربى فى العصر الإسلامى، دكتور/ شوقى ضيف ص 68.

الكريم، فقد عاش يناضل عنه أعداءه من قريش، واليهود ومشركي العرب رامياً لهم جميعاً بسهام مصيبة".[1]

ولعل فيما ذكرت ما يدل دلالة قوية على منزلة حسان فى الجاهلية والإسلام، وأنها كانت منزلة عظيمة لا تدانيها منزلة أى شاعر آخر.

---

[1] شرح ديوان حسان ص 79.

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1- اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى. دكتور/ محمد مصطفى هدارة، طبعة دار المعارف، سنة 1963م.

2- الأدب الأموى للدكتور إبراهيم على أبو الخشب، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

3- أصول النقد الأدبى لأحمد الشايب.

4- الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، سنة 1992م.

5- البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1405هـ | 1985م.

6- تاريخ الأدب العربى "العصر الإسلامى" ، دكتور/ شوقى ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة عشرة.

7- تاريخ الشعر السياسى لأحمد الشايب، الطبعة الرابعة، 1966م، مكتبة النهضة المصرية.

8- تأويل مشكل القرآن لأبن قتيبة.

9- تفسير القرآن العظيم للحافظ بن كثير. الناشر: دار المعرفة بيروت، لبنان، 1388ه|1969م

10- الحيوان للجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر.

11- الخطابة وإعداد الخطيب للدكتور عبد الجليل شلبى، الطبعة الخامسة، 1412هـ | 1991م، مؤسسة الخليج العربى.

12- دلائل الإعجاز تاليف عبد القاهر الجرجانى، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، الناشر مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة 1410هـ- 1989م.

13- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الخامسة، دار المعارف.
14- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق دكتور/ سيد حنفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة 1974م.
15- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح دكتور حسين نصار، الطبعة الأولى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده.
16- ديوان كعب بن مالك الأنصارى، تحقيق سامى العالى.
17- سيرة ابن هشام.
18- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنبارى.
19- شرح المعلقات السبع للزوزنى.
20- شرح بانت سعاد ، تحقيق هلال ناجى.
21- شرح ديوان عنترة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1405هـ| 1985م.
22- الشعر الشعبى العربى للدكتور حسين نصار.
23- الشعر العربى فى العصر الجاهلى للدكتور محمد مصطفى هدارة، مركز الشنهابى للطباعة والنشر، 1990م
24- الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثالثة، سنة 1977م.
25- الصناعتين لأبى هلال العسكرى، تحقيق على محمد البجاوى، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه.
26- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى.
27- العمدة لابن رشيق القيروانى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1972م.
28- عيار الشعر لابن طباطبا العلوى، دراسة وتحقيق دكتور محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1980م.

29- فن الخطابة للدكتور أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، الطبعة الخامسة.
30- الفن ومذاهبه " فى النثر العربى" ، دكتور/ شوقى ضيف، طبعة دار المعارف، الطبعة الثانية عشرة.
31- فى الشعر الإسلامى والأموى للدكتور عبد القادر القط.
32- فى النقد الأدبى، دكتور/ شوقى ضيف، طبعة دار المعارف، سنة 1962م.
33- لسان العرب لابن منظور، دار المعارف.
34- مروج الذهب للمسعودى.
35- المزهر فى علوم اللغة للسيوطى، طبعة السعادة، سنة 1325هـ.
36- مصادر الشعر الجاهلى للدكتور ناصر الدين الأسد، دار المعارف.
37- المعمرون والوصايا لأبى حاتم السجستاني، تحقيق عبد المنعم عامر، 1961م، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه.
38- المفضليات للمفضل الضبى، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار المعارف.
39- مقدمة ابن خلدون، كتاب التحرير 1386ه- 1966م.
40- الموشح للمرزبانى ، تحقيق البجاوي .
41- النقد الأدبى للأستاذ أحمد أمين.

المحتويات

الموضوع	الصفحة



رقم الإيـداع : 2015/9000
الترقيم الدولى : 5-263-732-977-978

مـع تحـيات
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: 5404480 - الإسكندرية





الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

٥٩ ش محمود صدقى متفرع من العيسوى سيدى بشر - الإسكندرية

تليفاكس : ٥٤٠٤٤٨٠ / ٠٠٢٠٣ - الاسكندرية

